بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الحديث عن "داعش"[1] هو حديث العالم، ولكنه ليس حديثا واحدا، وإنما عدة أحاديث، بعدة لغات، ولهجات، ليس ذلك فحسب بل عدة تصورات مبنية على عدة مناهج وأفكار، وكل يدعي أن حديثه هو الحديث الصحيح، مع أن أكثرهم -إن لم يكن كلهم- مبنى حديثه على الظن والتخرص، فمن قائل: إن "داعش" صناعة الاستخبارات الفلانية، تدعمها الدولة الفلانية لتحقيق المصالح الفلانية!، ومن قائل: إنها الخلافة الراشدة على منهاج النبوة التي تجب لها البيعة وتلزم لها من المسلمين النصرة!، وهناك من يقول: إن "داعش" قرن الخوارج في هذا العصر الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "**كلاب النار كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم**"[2].

وفي الوقت نفسه حاول عدد من المعادين للإسلام وأهله الذين يحاربونه بكل طريق وبأي وسيلة، حاولوا أن يثبتوا أن "داعش" هي حقيقة الإسلام!![3] مما جعل المسلمين

---

[1] وهو اختصار إعلامي لتنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وهذا الاختصار عبارة عن دمج أول حرف من كل كلمة في اسم هذا التنظيم؛ فـ"الدال" = الدولة، و"الألف"= الإسلامية، و"العين"= العراق، و"الشين"= الشام، وجمع كل هذه الحروف (د-ا-ع-ش) = "داعش"، ورغم أنهم تركوا العمل بهذا الاسم واقتصروا على "الدولة الاسلامية" غير أن الكثير لا يعرفهم إلا بهذا الاسم، ولذا سنتكلم عنهم باسم "داعش" ولأسباب أخرى ستأتي معنا -إن شاء الله-.

[2] سيأتي تخريجه -إن شاء الله-.

[3] كهذا الكذاب المنسوب إلى البَحيرة بحيرة الشيطان!!، إسلام بحيريّ؛ وهو معلوم بعداوته للمسلمين وطعنه على هذا الدين عقائده، وثوابته!.

المساكين من العوام في حيرة من أمرهم من يصدقون؟، وما هي حقيقة "داعش"؟ ومن ورائهم؟ وإلى ماذا يهدفون؟ وأي شيء يريدون؟

والإجابات كثيرة وعديدة، ولما كان حديث السياسة حديث كذب وغش وخداع، حديث لا كالحرباء يتلون بكل لون بل أشد، حديث لا يثبت على مقال ولا يستقر على حال؛ فما كان هو الحق أمس لا يلبث أن يكون أبطل الباطل اليوم، نقول: لما كان هذا هو حال حديث السياسة؛ رفض كثير من الناس الكلام عن "داعش" ووضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وفروا من هذا الحديث فرارا، ولذلك فإننا سنطرح كل اتهام لــ"داعش" بأنها عميلة ونحوه من الاتهامات السياسية[٤]، ولن نناقش إلا قولين فقط، هل "داعش" على منهاج النبوة؟، أم قرن الخوارج في هذا العصر؟.

ولما كان حديث الناس عموما يصيب ويخطئ، يقبل ويرد، يصدق ويكذب، فنحن بحاجة إلى حديث صادق ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، حديث من لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤، نحن بحاجة إلى ما إن اعتصمنا به فلن نضل أبدا، نحن بحاجة إلى قال الله قال رسوله قال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، نعم بهذا الحديث نصل إلى الحق من أيسر طريق وأسهله.

وكأني أسمع متعجبا مستنكرا يقول: وهل تكلم الله ورسوله عن "داعش"؟!

فالجواب: نعم فإننا إن أردنا أن نعرف حقيقة منهج "داعش" أسلفي أم خلفي، سني أم بدعي؟ فإنه إن لم نجد بيانه في كتاب الله وسنة رسول الله فلن نجد له بيانا! كيف والله رب العالمين بيَّن في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أحكام الطهارة وآدابها وتفاصيل ذلك ودقائقه، فكيف بدماء المسلمين وأعراضهم؟!، كيف بهدايتهم وضلالهم؟! ألم يقل الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ

[٤] وليس ذلك تبرأة لساحة "داعش" من هذه الاتهامات، وإنما لأن مبناها على الظن لا اليقين، ولأننا لا نملك دليلا على صحة هذه الاتهامات، ويكفينا أن نعلم حقيقتها المنهجية والعقدية من خلال كلام قادتها وتنظيراتهم.

يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ التوبة: ١١٥، وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩فكل ما يخص هذه الأمة إلى قيام الساعة بينه ربنا في كتابه وأنزل إلى رسوله السنةَ ليبين لنا ما في الكتاب! كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل: ٤٤، ولذلك أمر سبحانه أن نرد كل النزاعات إلى الله ورسوله فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩و وقوله ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ نكرة في سياق الشرط فكان الحاصل أن أي خلاف يقع، وأي نزاع يحصل؛ لابد من رده إلى ما يرفع النزاع وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن تأمل في الآية وجد أنه عند الاجتماع أمر بطاعة الله ورسوله والعلماء، فلما وقع الخلاف لم يرد إلا للكتاب والسنة فقط، فلم يقل فردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم، كما قال عند الأمر بالطاعة، وإنما حصر الأمر في الكتاب والسنة فبهما يرفع الخلاف ويزول النزاع.

ولكن هنا أمر ينبغي الانتباه إليه؛ وهو أن كل الفرق بل كل واحد من المسلمين —أعني المنتسبين إلى الدعوة- يزعم أنه لا يصدر إلا عن الكتاب والسنة، فبهما ينطق وعلى أساسهما يبني!، ولا تجد واحدا من رجال الجماعات أو الأحزاب أو الفرق المسلمة يقول أنا أخالف الكتاب والسنة!!، ومع ذلك فإن هذه الفرق بينها من خلاف التضاد —لا التنوع- وهو خلاف حقيقي -لا لفظي-، ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد؛ ولذلك بيَّن صلى الله عليه وسلم أن كل هذه الفرق -التي تمخض عنها الخلاف بين المسلمين- في النار إلا فرقة واحدة وهي ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه[٥]، فالحق واحد لا يتعدد.

---

[٥] الحديث أخرجه أبو داود والترمذي والآجري وغيرهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة**".

فمع مَن الحق مِن هؤلاء وهم جميعا يقولون: "نقول بالكتاب والسنة"؟

الجواب: أنه مع الذين أُمرنا أن نؤمن بما آمنوا به في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾البقرة: ١٣٧، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، فمن آمن بمثل ما آمنوا به فقد اهتدى ومن تولى عن هذا الهدى فهو في ضلال وسبل مختلفة مظلمة لا تصل به إلا إلى جهنم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ فمن يتبع غير سبيل الصحابة رضوان الله عليهم، فإن سبيله هذا لا يصل به إلا إلى جهنم -والعياذ بالله-، ولذلك فإن النجاة أن يكون المسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم، الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ولتبليغ دينه من بعده[٦]، ولهذا بين صلى الله عليه وسلم أن سبب النجاة من الاختلاف -الذي حتما سيقع بين أبناء الأمة- أن يكون المرء على سنته صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من بعده كما ذكر العرباض بن سارية -رضي الله عنه- فقال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة**

---

[٦] أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم".

ضلالة"[٧]، ولذلك فإن من أخذ بالكتاب والسنة بعيدا عن فهم سلف الأمة فقد ضل لا محالة!

ونحن إن أردنا أن نحاكم "داعش" إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فليس لنا إلا أن نحاكمها من كلامها هي لا من كلام أعدائها من الإخباريين والساسة![٨]، ولذلك فإننا سنأتي هنا بكلامهم هم، وكلام أنصارهم، ومن على منهجهم، لنبين للقارئ اللبيب - الذي يريد الحق لا المتعصب المتبع لهواه- حقيقة "داعش"، ولنعلم جميعا هل "داعش" هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كما يقال عنها؟، أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟

ولا يتم ذلك إلا بعرض منهج وأفكار "داعش" على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فإن تطابقا وتوافقا في كل الأصول، وإلا فإن مخالفة واحدة في هذه الأصول تجعل "داعش" أو غيرها فرقة مخالفة لمنهاج النبوة.

[**هل تقول إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالا مخالفا لمنهاج النبوة؟! أليس هذا ظلما؟!**] كأننا نسمع هذا السؤال يتردد!

والجواب: نعم ليس ظلما، نعم إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالا مخالفا لمنهاج النبوة، فإن الأمور في ديننا لا توزن كما توزن عند التجار والباعة بالكيلو

---

٧ أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني –رحمهما الله– في إرواء الغليل (٢٤٥٥).

٨ قال متحدثهم الرسمي أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: "لك الله أيتها الدولة المظلومة" : " فمَن أراد الإنصاف فليتّقِ الله فينا، وليحكم علينا من خلال بياناتنا وإصداراتنا وخطاباتنا، أو من خلال دليل شرعي يثبت فيه خلافَ ما ندّعيه، لا من خلال ما يصوّرنا به إعلام عدوّنا، أو ما يسمعه من أفواه أبواقه، ولا عبر شهادات لخصم من خصومنا".

وقال في كلمة بعنوان: "إنما أعظكم بواحدة" : "ومن أراد أن يعرف منهج الدولة وسياستها وفتاويها فليرجع إلى قادتها وبياناتها وخطاباتها ومصادرها، لا أن يأخذ ذلك من وسائل الإعلام المحاربة للدولة، أو أفواه أعدائها ومحاربيها ومخالفيها الذين لم يتركوا عارًا إلا لصقوه بها، ولا جرمًا إلا نسبوه لها، ولا نقيصةً إلا وألحقوها بها، ثمَّ يصدِّق ذلك ويعتقد به بل ويزيد من عنده ويلقي التُّهَم جزافًا".

جرامات!، قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها"[٩].

قال الإمام سفيان بن عيينة -رحمه الله-: "السنة عشرا فمن كن فيه استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة"[١٠].

قال الإمام علي بن المديني -رحمه الله-: "السنة الازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها..."[١١]. ثم ذكر جملة من أصول أهل السنة.

قال الإمام البربهاري -رحمه الله-: "ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها"[١٢].

وبهذا يتبين لك أنه لابد من اجتماع خصال السنة وأصولها في الرجل حتى يكون مهديا سنيا، وإلا كان ضالا بدعيا والعياذ بالله.

فإذا اتفقنا على هذه الأصول فهذا أوان الشروع في المقصود، والتوفيق والسداد من رب الودود.

---

٩ أصول السنة، ص: ٤٢.

١٠ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢ / ١٧٤).

١١ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢ / ١٨٥).

١٢ شرح السنة، ص: ٦٧.

نشأة "داعش" و"جبهة النصرة" وحقيقة الخلاف بينهما:

إننا إن أردنا أن نتكلم عن "داعش" وعن منهجها وفكرها؛ فينبغي أن نتكلم عن نشأتها وما هي المكونات والأسباب التي أدت إلى ظهورها؟، ومن أي الأفكار السابقة نبتت تلك النبتة؟ وذلك لنعلم هل هي نبتة طيبة؟ أم نبتة خبيثة؟

وإذا أردنا أن نتكلم عن نشأة "داعش" فينبغي أن نذهب إلى عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤، وهو العام الذي سقطت فيه الخلافة العثمانية بغدر ومكر من "أتاتورك" الطاغية!

نعم لا تعجب؛ فهذا العام وهذا الحدث هو سر كثير من الأحداث التي تدور وتحدث في هذا الزمان، وسيظل هذا العام وهذا الحدث –أعني: سقوط الخلافة العثمانية– هو النواة الأساسية في تكوين ونشأة الكثير من الحركات والتنظيمات التي تحمل وصف "إسلامية"، كيف كان ذلك؟

إنه منذ سقوط الخلافة العثمانية شعر كثير من المسلمين –لا سيما من الشباب المتحمسين– شعروا بانفراط عقد الأمة! وتفكك وحدتها، وأن الضياع يتهددها ويتوعدها!، فعاشوا على أمل عودة الخلافة[١٣] وسعى كثير منهم إلى تحقيق ذلك، حتى نشأ بعض الشباب المتحمس على هذا الحلم ومنهم "حسن البنا" الذي عاش على أمل أن

---

[١٣] والخلافة حتما ستعود كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه في آخر الزمان "تكون خلافة على منهاج النبوة"، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٥).

ولكن ينبغي العلم أن الخلافة وعد مشروط، لا يتحقق إلا بتحقق هذا الشرط كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾النور: ٥٥، فلن تعود الخلافة إلا بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح، لا بالعمل الطالح من مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وسفك دماء الأبرياء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء، ولذلك فإن أهل السنة يعملون على بناء الدولة المسلمة من خلال الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم، وتعبيدهم لربهم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم يعلمون ويوقنون أن بناء الأمة وصلاح حالها من صلاح حال أبنائها، فصلاح الفرد صلاح للأسرة، وصلاح الأسرة صلاح للمجتمع، وصلاح المجتمع صلاح للأمة، والله الموفق والمستعان.

يكون هو خليفة المسلمين وظل يسعى إلى وضع حجر الأساس؛ حتى أنشأ جماعة الإخوان المسلمين عام ١٣٤٧هـ- الموافق ١٩٢٨[١٤]، فوضع المنهج ورسم الخطة وثبَّت الأركان ووضع الأصول! والتي لا يمكن -في نظره، ونظر أتباعه- أن يُفهم الإسلام إلا من خلالها! فإن من أركان بيعة الإخوان المسلمين ركن "الفهم"، والمقصود به كما قال حسن البنا في رسالة التعاليم: "أيها الأخ الصادق: إنما أريد بالفهم: أن توقن بأن فكرتنا (إسلامية صميمة)، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز"أهـ[١٥].

---

١٤ يقول أبو مصعب السوري في "دعوة المقاومة" ص٤٦٨، : "وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموما. وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا ، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية وتصحيح أوضاع المسلمين والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين".

ويقول في ص:٦٥٦، : "وقد أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٢٨. ووضعت إعادة الخلافة شعارا وهدفا لها. وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره: "الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا"اهـ.

وكتاب أبي مصب السوري هذا يعد مرجعا تاريخيا لهذه الجماعات والتنظيمات وهو خلاصة فكره وتجربته في هذا الميدان؛ يقول عن نفسه وعن كتابه ص: ٤٣، : "ومن خلال كوني أحد العاملين في التيار الجهادي في مجال الفكر والكتابة والتأريخ والنشاط الإعلامي، بالإضافة للمباشرة الميدانية ولا أذكر هذا هنا للفخر، وليس المقام مقامه –وأسأل الله الإخلاص- **وإنما ليعرف القارئ، أن ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانية طويلة ومتنوعة، فيعطيه حقه من الاهتمام**"اهـ، ولذلك فإن نقلنا عنه لا يعد أن يكون توثيقا لما نقوله عن هذه التنظيمات والجماعات!.

١٥ نقول: وهذا أصل الداء ومكمن العلة في هؤلاء، فهو يريد أن نفهم الإسلام من خلال الأصول العشرين التي هي من وضعه!، وهذا كمن يوجب على الناس أن ينظروا إلى الدنيا من سم الخياط، بل الواجب أن نفهم هذه الأصول وغيرها وكل ما هو متعلق بالدين من خلال ما جاء عن الله ورسوله وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وأما ما يدعو إليه حسن البنا فإنما هو قلب للموازين وانتكاسة في الفطرة والعقول، والله المستعان.

وكان من دعائم هذه الجماعة ما يعرف بـــ"التنظيم الخاص"[١٦] وهو جيش خاص بالجماعة، مسؤول عن إزاحة وتصفية أعداء الجماعة، والدفاع عن الجماعة إذا استدعى الأمر حمل السلاح[١٧].

[١٦] وانظر في ذلك: "التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين" مذكرات علي عشماوي آخر قادة التنظيم الخاص، و"تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري"، للسيد عبد الستار، و"حقيقة التنظيم الخاص" لمحمود الصباغ، و"النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص" لأحمد عادل كمال، وغيرها، وجميعها سطرتها أيدي إخوانية!، وممن جمع كلامهم في هذا الباب وناقشه مناقشة علمية سلفية فضيلة الشيخ أبو العباس الشحريّ اليمنيّ في كتابه "التنظيم السريّ السياسيّ العسكريّ عند الإخوان المسلمين بأقلامهم".

[١٧] قال خالد محمد خالد –أحد رجال الإخوان المعروفين وله كتابات كثيرة (بها أباطيل وضلالات)- في كتاب قصتي مع الحياة (ص:٢٨٠ وما بعدها): "كذلك عرفت أن الاستاذ المرشد لم يفاجئ بهذا التنظيم يقتحم عرينه، بل هو الذي فكر فيه وأنشأه واختار له قائده الأول محمود عبد الحليم، ولما غادر القاهرة سعيا وراء عمله ورزقه اختار قائده الثاني عبد الرحمن السندي الذي لم يتم تعليمه الجماعي ووقف عند الثانوية العامة حيث التحق بإحدى وظائف وزارة الزراعة، وكانت حيثيات تشكيله كما أعلن الاستاذ البنا في حينه:

أولا: شن الحرب على الاستعمار البريطاني ممثلا في نفوذه وجيوشه.

ثانيا: قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولن إعاقة سيرها.

ثالثا: إحياء فريضة الجهاد.

والذي يعنينا ونحن نشجب هذا التنظيم السري هو البند الثاني قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون تعويق سيرها... فلقد أسرف التنظيم في هذا السبيل إسرافا كان السبب الأوحد في تدمير الإخوان من الداخل والخارج، وكان السبب الأوحد في فقد الإخوان أثمن ما يملكون حياة الاستاذ المرشد الذي ذهب في معركة ثأر شرسة وضارية..."اهـــ ثم ذكر جرائم هذا التنظيم الخاص، ونلاحظ فيما مضى:

أولا أن حسن البنا هو المنشئ الأول لهذه التنظيمات في هذا العصر التي تشبه تنظيمات الباطنية والحشاشية.

ثانيا: أن السحر قد انقلب على الساحر فهذا حسن البنا الذي نفث التعاويذ في عقد (البيعة) فارتدت عليه سهامها فراح ضحيتها.

ثالثا: هذا التنظيم لم ينفذ منه واقعيا إلا البند الثاني، فأما الأول والثالث فتأمل في قول علي عشماوي –آخر قادة التنظيم الخاص- في مذكراته (ص:٨ وما بعدها): "وكان يعلم –أي: سيد قطب- أن قيادة النظام الخاص كانت مخترقة من الأجهزة الغربية الاستعمارية وتعمل لحسابها وأن جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تم تفريغها من نتائجها فمثلا حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جدا فيها ثم صدرت من الشيخ محمد فرغلي الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أن هناك مؤامرة بتصفية المجاهدين ولكن هذا كان مبرره في الأساس لحماية اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر وظل الإخوان في معسكرهم لا يحاربون إلى أن عادوا من فلسطين، وكان شباب الإخوان في غاية التوتر والقلق لعدم اشتراكهم في المعارك لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن الشيخ فرغلي قد خان وينبغي تصفيته،

ثم قُتل حسن البنا[١٨]، وخلفه في التخطيط والتنظير للجماعة "سيد قطب" والذي بلور قضية التكفير وأظهر ما كان مخفيا وصرح بما لمح به من سبقه[١٩] فاعتبر المساجد معابد

وفعلا قرروا ذلك لولا أن الخبر قد وصل إلى الشيخ فاجتمع بهم وشرح لهم الأمر وأطلعهم على الأوامر التي صدرت له من القاهرة وأسبابها.

ومثلا هناك واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعلية وقد كان هذا الفندق يعج بالإنجليز وبالجواسيس في جميع الأشكال وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أي تأثير ضار بالإنجليز... ولقد أورد الحادث الأستاذ صلاح شادي في مذكراته فقال: "والتقى أمرنا داخل قسم الوحدات على القيام بعملية إرهاب في داخل فندق الملك جورج بإشعال عبوة ناسفة لا تؤدي إلى قتل أو إصابة بجسامة، وإنما تعلم فقط عن ملاحقة للعملاء والمخابرات الإنجليزية وكلفنا الأخ رفعت النجار من سلاح الطيران للقيام بهذه العملية بأن يحمل دوسيهًا به مادة ناسفة ويشعلها ثم يتركها في ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلف ستارة مدلاة على حائط الردهة ثم ينهض بعد ذلك ويمضي خارج الفندق وجرى التنفيذ على أحسن وجه، ولكن ظهر للأخ رفعت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذي اقترب من المكان ولكن الآخر ظل ممسكا بالدوسيه حتى انفجر فيه! ومات متأثرا بجراحه، فقد خشي أن يقتل رجل المخابرات الإنجليزيّ!".

وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليز"أهـ، كما حافظوا على حياة اليهود –أيضًا- كما مضى، وهذا اعتراف صريح منهم بالعمالة من الجماعة للإنجليز واليهود، والاعتراف سيد الأدلة!، ولعلك تذكر ما قاله الغزاليّ الإخوانيّ في كتابه "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث": "استقدمت الجماعة رجلًا غريبًا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت، ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبيّ نفسه لجماعة الإخوان ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو التي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة"، وهذا مصداق ما قاله عنهم الشيخ المحدث قاضي القضاة في مصر العلامة أحمد شاكر –رحمه الله-: "حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه الـــمسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدَّامة ينفق عليها الشيوعيون واليهود، كمـــا نعلم ذلك علم اليقين" في تعليق على "تقرير عن شئون التعليم والقضاء"، ص:٤٨.

١٨ ولعل القارئ في تاريخ جماعة "الإخوان المسلمون" وما حدث قبيل قتل حسن البنا، من تفجيرات وقتل واغتيالات، ومن ثم سجن واعتقالات، حتى لم يبق خارجها –أي المعتقلات- إلا حسن البنا!! ثم خروج بعض المقالات كمقالة حسن البنا والتي عنوانها: "ليسوا بإخوان وليسوا بمسلمين" وما يعلم من الطبيعة المزاجية والعقلية لـــ"عبد الرحمن السندي" رئيس التنظيم الخاص، وما علم من حرص الجماعة على الثأر لرجالها وجنودها، وتركهم هذا الثأر لكبيرها ومرشدها، أقول لعل المطالع لذلك كله يربط بينه وبين مقتل حسن البنا!!.

١٩ وأما ما يزعمه التيار البنائي من الإخوان –أتباع البنا- من أمثال مختار نوح وكمال الهلباوي وغيرهما، من أن فكر التكفير دخل على الجماعة مع دخول قطب والقطبيين فهو زعم باطل ودعوى تردها الحقيقة، حيث استحلت الجماعة دماء مخالفيها في الدعوة والحكومات والقضاء، ولذلك حذر العلماء صريحا من جماعة الإخوان واتهموها

والديار ديار كفر[٢٠]! وأن البشرية ارتدت عن لا إله إلا الله! التي لا تعني —في تصوره وتعريفه– إلا أن الحاكمية لله[٢١] فأعظم الشرك عنده الحكم بغير ما أنزل الله؛ إذ الألوهية هي مرادف "الحاكمية"[٢٢]!.

بالخارجية، قبل موت البنا وقبل دخول سيد قطب في الجماعة بسنين وأظهر دليل على ذلك مقالة الإيمان قيد الفتك للعلامة أحمد شاكر حيث قال عن الإخوان إنهم خوارج العصر انظر المقالة في جمهرة المقالات للشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

٢٠ قال سيد قطب في ظلال القرآن (٣/ ١٨١٦): "اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور".

٢١ بينما المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: أنه لا معبود حق إلا الله، فلا يستحق العبادة أحد غير الله، والعبادة هي: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وانظر كتاب "التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب —رحمه الله-.

٢٢ قال سيد قطب في ظلال القرآن (٢/ ١٠٥٧): "لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله. فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعيها العباد لأنفسهم- وهي مرادف الألوهية- سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب. فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية.. إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله. فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية. و لم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء..

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: «لا إله إلا الله» بلا مدلول ولا واقع.. وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد- من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله! فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلاً أمام هذه الآيات البينات!".

وفي ظلال القرآن (٣/ ١٣٤٦): "إن ربوبية الله للعالمين تعني- أول ما تعني- إبطال شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله وأمره وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له- من دون الله- بإخضاعهم لشرعه هو وأمره.. واجهه بهذه الحقيقة الهائلة بوصفه رسولاً من رب العالمين.. ملزماً ومأخوذاً بقول الحق على ربه الذي أرسله".

ويقول أبو مصعب السوري في "دعوة المقاومة" ص: ٦٩٣، : "فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد..".

وباتت فكرة التكفير والدعوة إلى الثورة والانقلاب[٢٣] على سائر أنظمة الحكم تسيطر على كتاباته ومقالاته[٢٤] وتابعه على ذلك أخوه محمد قطب[٢٥]، فصارا من كبار المنظرين

[٢٣] يقول سيد قطب في ظلال القرآن (٣/ ١٤٥١):"لعلك تبينت مما أسلفنا آنفا أن غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر. بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة.. هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء "الحزب الإسلاميّ" عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها. أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض. وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلا أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر. بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها، ولا تغفل عنها طرفة عين. فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها. فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة".

[٢٤] يقول سيد قطب في ظلال القرآن (٣/ ١٥٠٨)أيضا: "إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور.. أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور.."

[٢٥] يقول محمد قطب في كتابه "واقعنا المعاصر" ص:٢٩: "إن الأمر يحتاج إلي دعوة الناس **من جديد إلي الإسلام**، لا لأنهم -في هذه المرة- يرفضون أن ينطقوا بأفواههم لا إله إلا الله محمد رسول الله كما كان الناس يرفضون نطقها في الغربة الأولي، ولكن لأنهم في هذه المرة يرفضون **المقتضي الرئيسي لــ "لا إله إلا الله"، وهو تحكيم شريعة الله** والامتثال لمنهج الله، وإن كان ألف مليون من البشر من المحيط إلي المحيط ينطقون بأفواههم كل يوم: لا إله إلا الله محمد رسول الله! وهذه هي حقيقة "الغربة" التي يعانيها الإسلام اليوم في الأرض، رغم ملايين المصاحف التي تطبع، ومئات المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي ترتل القرآن وتذيعه علي الناس، وتشرحه -في الأحاديث والدروس الدينية- لمن شاء من الناس الاستماع!"أ.هـــ

وقال أيضا:" وفرغت لا إله إلا الله من محتواها كله تحت ضغط الأمر الواقع وبتأُثير الغزو الفكريّ المسموم وأصبحت مجرد كلمة تنطق باللسان ويحسب قائلها أنه قد حاز الإسلام كله بمجرد نطقها بلسانه وأنه قد قام "بالشهادة" المطلوبة منه وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف مهما يكن قلبه غافلا عن حقيقتها ومهما يكن سلوكه متناقضا لمقتضاها.

وجاءت حركة الإمام الشهيد [يريد سيد قطب ولا يخفى عليك أنه لا يجوز الحكم على أحد بالشهادة إلا بوحي وأنى لهم؟!] والأمة على هذا النحو.. إلا من رحم ربك ممن فتح الله عليه بمعرفة حقيقة الشهادة وحقيقة الدين..

للفكر التكفيريّ إضافة إلى "أبي الأعلى المودوديّ"؛[٢٦] فتولد من زواج التكفير وحمل السلاح مولود مشوه! إذ خلفهم على ذلك عدة تلاميذ تتلمذوا على كتبهم ومقالاتهم ونشأوا على أفكارهم[٢٧]، من أشهرهم "شكري مصطفى" مؤسس التكفير والهجرة، والتي من آثارها التوقف والتبين.

ومن أشهرهم أيضا سيد إمام الشريف، والمعروف بينهم باسم "الدكتور فضل" وكان يخرج كتبه قديما باسم "عبد القادر عبد العزيز"!!، وكتبه في هذا الباب تعد من أكبر

وقام الإمام الشهيد -كما بينا- بتصحيح جانب من العطب الذى أصاب " لا إله إلا الله " في قلوب المسلمين ذلك الجانب الذى كانت قد أفسدته الصوفية والفكر الإرجائيّ ثم دعا إلى تحكيم شريعة الله وإلى وجوب إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بشريعة الله ووجد استجابة الجماهير من حوله فاطمأن إلى هذا "الظاهر".

تحكيم شريعة الله – وحدها دون سواها – والتحاكم إلى شريعة الله – وحدها دون سواها – هو أول مقتضيات لا إله إلا الله التي لا تكون بدونها قائمة ولو نطقها الإنسان بلسانه ألف مرة كل نهار !"أ.هـ.

أرأيت أيها القارئ الكريم؟!؛ إنه تكفير المجتمعات المسلمة جملة؛ والاتكاء على أصل الأصول عندهم "الحاكمية" فهي عندهم المقتضي الرئيسي لـ"لا إله إلا الله"! وأول مقتضياتها لا توحيد العبادة!.

[٢٦] يقول أبو مصعب السوريّ مؤرخهم في كتابه "دعوة المقاومة" ص: ٦٩٥، : "ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي . و محضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي؛ وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي) -نسبة إلى سيد رحمه الله- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كُتّاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد..أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية ، من بلاد نجد والحجاز".

ويقول في ص٦٦٣، "فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي حيث طرح فكر الحاكمية والولاء و البراء والتمايز والمفاصلة .. وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رحمه الله . وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي – رحمه الله - في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتتالت المساهمات. وتكونت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الذي ما لبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثم الشام ثم شمال أفريقيا وغيرها ...".

[٢٧] يقول أبو مصعب السوري في "دعوة المقاومة" ص:٧٣٧، : "وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته. ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضا .. أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره. قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره .. لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري الذي اعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عملية اغتيال أنور السادات (١٩٨١). ومازالت قيد السجن إلى يومنا هذا".

المراجع عند هؤلاء القوم، وهو يعد شيخا لأيمن الظواهري قبل وبعد سفره إلى بكستان في عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣[٢٨].

ومن كبار تلاميذهم أيضا "عبد الله عزام" وهو المنظّر للجهاد منذ أن سافر إلى باكستان مدرسًا، فاقترب من الأفغان الذين كانوا لثلاث سنوات خلت يحاربون الاتحاد السوفيتيّ، ثم أسس مكتب خدمات للمجاهدين عام ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤، وأسس مجلة "الجهاد" والتي نشر من خلالها أفكاره وتنظيراته، وكان من ضمن نظرياته أن الجهاد وتحرير أفغانستان يبدأ بالتخلص من حكام المسلمين الكفار! فالعدو القريب قبل العدو البعيد![٢٩]، وقد كان عبد الله عزام هو الأب الروحيّ لـ"أسامة بن لادن" الذي كان

---

[٢٨] كما ذكر ذلك في حواره مع مجلة الحياة، ص: ٦، وقال أبو مصعب السوري في "دعوة المقاومة" ص.٧٤٠، : "ولكن من الأهمية بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير .. فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله .. والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر .. ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر و مهم، كان من أهمه .. كتاب (العمدة في إعداد العدة) .. للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.. وكتابه القيم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف). والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد)، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة التي أصدرها تباعا في بيشاور خلال الفترة (١٩٨٨-١٩٩٢)"اهـ.

وأما قول السوري: "والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه"، فإنه من تصرف الظواهري ومن غير إذن سيد إمام المعروف باسم "عبد القادر عبد العزيز"، ولذلك نال الظواهري ما ناله من سيد إمام جراء تعديه على حقوق الآخرين وتصرفه في مؤلفات غيره لتنصر هواه وهذا شأن أهل الأهواء وسيأتيك شيء من بيان ذلك إن شاء الله.

[٢٩] وهذه الأسماء التي ذكرناها هي أسماء المنظرين لهؤلاء الخوارج وتأكيده ما ذكره أبو مصعب السوري في مرجعهم "دعوة المقاومة" ص: ١٠٥٢، : "ومن علماء ودعاة التيار الجهادي الشهيد سيد قطب. والشهيد عبد الله عزام. وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإسلامية في مصر -قبل نقض الغزل أنكاثا- وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ رفاعي طه، وكذلك جماعة الجهاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز -الذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس(٢٠٠٤)-. والدكتور الشيخ المجاهد أيمن الظواهري. ومن سوريا الشهيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العلماء والدعاة. ومن الأردن الشيخ أبو محمد المقدسي".

وفي "دعوة المقاومة" أيضا ص: ١١٣٠، يقول: "وأنصح عموماً لترسيخ العقيدة الجهادية، بمؤلفات الشهيد سيد قطب رحمه الله، ومؤلفات الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز ، كما أنصح جدا بمؤلفات الشيخ عبد الله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتربية. كما أنصح بمكتبة الجماعات والتنظيمات الجهادية، ومن ذلك مؤلفات الشيخ عمر عبد الرحمن. والشيخ أيمن الظواهري. ومؤلفات الشيخ أبو المنذر الساعدي الليبي، وإنتاج جماعاتهم الجهادية في مصر وليبيا. ومن المكتبات الفكرية الجهادية النافعة مؤلفات الشيخ أبو محمد المقدسي، والشيخ محمد الفزازي

يُغدق على المكتب والمجلة بأمواله الطائلة[٣٠]، وقد قام بعدُ بالاستقلال عن مكتب الخدمات وقام بإنشاء تنظيم "قاعدة الجهاد" عام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨ –وكان ساعده الأيمن بعدُ فيه هو "أيمن الظواهريّ"– وتم إنشاء هذا التنظيم ليكون خاصًا بالوافدين العرب![٣١]، وظل هذا التنظيم –أعني: القاعدة– يستمر في الانتشار في الدول العربية مستعينًا ومعتمدًا على الحالة النفسية التي يعانيها كثير من الشباب المتحمس الذي تغلبه غَيرته على دينه، لا سيما مع ما يرى من محرماتٍ وانتهاكاتٍ للشريعة!، كما اعتمدوا على شعار "إعادة الفريضة الغائبة فريضة الجهاد"[٣٢] وكذلك ما قام عليه منهجهم من تكفير جميع الحكام، والترويج لفكرة "شغور الزمان من حاكم شرعيّ"[٣٣]، يقولون : لا سيما وقد عقد هؤلاء الحكام الهدنات والمعاهدات مع الكفار الذين يحاربون المسلمين في بلاد أخرى!، ولذا فإن الشباب يعيشون في ديار كفرية يجب عليهم إما

المغربي. ومكتبة الأستاذ محمد قطب حفظه الله. ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله"اهـ، ونحن لا ننصح بأي من هذه المؤلفات بل نحذر منها أشد التحذير لما سيأتيك من خلال هذا الكتاب من بيان ضلال هؤلاء جميعا، وإنما ذكرنا هذا النقل عن مؤرخهم توثيقا لما ذكرنا ولنعلم الأصول الفكرية لهؤلاء الدواعش، والمنبع الكدر الذين استقوا منه فكر الخوارج، فانتبه بارك الله فيك!.

[٣٠] انظر ما جاء في وصية عبد الله عزام بشأن أسامة بن لادن.

[٣١] دعوة المقاومة، لأبي مصعب السوريّ، ص: ٧١٠، وكتاب "الشهيد عبد الله عزام رجل دعوة ومدرسة جهاد" لـحسني أدهم جرار، هكذا سماه صاحبه، واعلم أن الحكم بالشهادة لمعين لم يشهد له الوحي مخالف لمنهج النبيّ صلى الله عليه وسلم، لأن هذا الأمر غيب والغيب لا يعلم إلا بالوحي..

[٣٢] وفي ذلك وضع محمد عبد السلام فرج كتابه "الفريضة الغائبة" والذي جمع أشتات فكر خوارج العصر ونسقه وطبع في ١٩٨٠ قبيل مقتل السادات حاكم مصر آنئذ، وهذا الكتاب من الكتب التي يبنون عليها دعائم فكرهم.

[٣٣] وممن يقول بفكرة "شغور الزمان..." ما يسمى بالدعوة السلفية بالأسكندرية –وليسوا بسلفيين في الحقيقة– وهذه الفكرة هي بعينها فكرة "ولاية الفقيه" التي اخترعها الهالك الخمينيّ والتي تخالف معتقد الشيعة أنفسهم!، والحقيقة أن الخمينيّ تأثر به كثير من الشباب المتحمس في هذا الوقت لا سيما الذين ينتسبون إلى ما يسمى بالجماعات الإسلامية!، وسبب ذلك هو القاسم المشترك بين الجميع؛ فكرة الثورة والانقلاب التي مرت معنا منذ قليل!، يقول المودودي: "إن ثورة الخميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة، أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات" مجلة الدعوة عدد ٣٩ سنة ١٩٧٩.

تغييرها أو الهجرة منها!، ومن هنا انتشر فكر "القاعدة" بل انتشرت هي بذاها وصار لها في كل دولة إمارة، ومن تلك الدول؛ دولة العراق والتي صارت مناخًا مناسبًا! لظهور فكر القاعدة لا سيما بعد دخول الأمريكان في ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣م.

لقد كان أمير القاعدة في العراق هو "أبو مصعب الزرقاويّ" والذي كان قبل ذلك أميرًا لجماعة "التوحيد والجهاد"، ثم بايع أسامة بن لادن، وصار أميرًا للقاعدة في بلاد الرافدين، ثم جمع الكتائب والفصائل المقاتلة في العراق تحت "مجلس شورى المجاهدين" حتى مات أبو مصعب في ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٦، فخلفه على إمارة القاعدة في العراق "أبو حمزة المهاجر" وهو الذي أعلن عن انخراط تنظيم القاعدة واندماجه مع تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق" في هذا العام، وهنا ولد تنظيم الدولة الإسلامية، وانتسب لأب ظنه شرعيّ! هو "تنظيم القاعدة"، فبايع أبو حمزة المهاجر "أبا عمر البغداديّ" أميرًا للدولة الإسلامية في العراق!، فصارت القاعدة وهذا التنظيم شيئًا واحدًا[٣٤]، وقد أرسل أبو حمزة المهاجر رسالة إلى أميرهم أسامة بن لادن يبيّن فيها أن مجلس شورى المجاهدين قد أخذ العهد على أبي عمر البغداديّ أن ولاءه لأمير القاعدة أسامة بن لادن، وأن الدولة تابعة لجماعة "قاعدة الجهاد"[٣٥].

وأبو عمر البغداديّ هو المؤسس لهذا التنظيم –أعني: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق– وظل أميره إلى أن قتل في ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠، ثم تم عقد البيعة بالإمارة لـ"أبي بكر البغداديّ" وهو أميرهم الحالي، والذي أظهر وأبان عن ولاء "الدولة" لتنظيم قاعدة الجهاد وأن مشايخ تنظيم القاعدة هم ولاة أمره![٣٦]، ولقد أثنى على أسامة بن لادن

---

[٣٤] مرجع: كلمة صوتية لأبي بكر البغداديّ بعنوان "وبشر المؤمنين إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام".

[٣٥] كما بيّن ذلك أمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهريّ، في كلمة بعنوان: "شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام".

وأكّده أبو محمد العدنانيّ –المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام–، في كلمته "عذرًا أمير القاعدة" كما سيأتي –إن شاء الله–.

[٣٦] كما بينه الظواهريّ في كلمته "شهادة لحقن دماء المسلمين بالشام".

وهذا ما حاول أبو محمد العدنانيّ –المتحدث باسم "داعش"– ردّه وتكذيبه في كلمة صوتية بعنوان: "عذرًا أمير القاعدة"، ولكنه بدلًا من تكذيبه قام بتأكيده! وكذب هو وتناقض!!، فقال في بداية كلمته: "أيها المجاهدون أيها

ووصفه بأنه شهيد الإسلام -كما يحسبه هو!- إمام زمانه وسيد عصره فخر الأمة وتاج عزها الجديد![٣٧].

ظل الأمر في تنظيم الدولة على هذه الحال، حتى قام ما يسمى بـــ "الربيع العربي"[٣٨] واندلعت الثورات في البلاد العربية وكان من بينها "سوريا" فخرجت كلمة من أيمن

الناس أعيروا سمعكم فإن حديثي له ما بعده، أعيروا سمعكم أنقل لكم بعضا من كلام مشايخنا وقادتنا وأمرائنا قادة القاعدة قاعدة الجهاد" ثم ذكر كلاما لأسامة بن لادن وغيره في تكفير الحكام ومن تحاكم إليهم ثم قال: "هذه هي قاعدة الجهاد التي عرفناها وهذا هو منهجها، ومن بدلها استبدلناه هذه هي القاعدة التي أحببناها، هذه هي القاعدة التي واليناها، هذه هي القاعدة التي ناصرناها... وباتت نفوسنا لا تطاوع غير قيادتها... **ولأجل هذا أرسلت الدولة عبر أبي حمزة المهاجر رسالة إلى قيادة القاعدة تؤكد فيها ولاء الدولة لرموز الأمة المتمثلين بالقاعدة** وتخبرهم أن الكلمة لقيادة الجهاد في العالم لكم برغم حل تنظيمكم على أرض الدولة...ولأجل ما ذكرناه كله ظل أمراء الدولة الإسلامية يخاطبون قاعدة الجهاد خطاب الجنود للأمراء".

ثم أكد أن الرسائل التي أخرجها أيمن الظواهريّ رسائل صحيحة ولكن ما كان ينبغي أن يخرجها لأنها رسائل سرية فقال: "... إذ تعسفت في إخراج مقاطع من رسائل سرية على الإعلام..."

فأكد أن أسامة والقاعدة هم قادته وقادة دولته وولاة أمورهم وأكد صحة هذه الرسائل التي أخرجها الظواهريّ، فانتبه لهذا جيدًا أيها القارئ اللبيب، فإن سبب هذه الكلمة هو قول أيمن الظواهريّ أن تنظيم الدولة تابع لتنظيم القاعدة وأن قادته هم أمرائهم وقادتهم، فرد عليه أبو محمد العدنانيّ في هذه الكلمة يريد أن ينفي تبعية "الدولة" للـــ"تنظيم"، فماذا كان؟!.

ومن العجيب مع ما تعلمه من شدة الخلاف الواقع حاليا بين القاعدة والدولة! أن تسمع هذه الكلمة من أبي محمد العدناني عقب قتل أسامة بن لادن في كلمة صوتية بعنوان: "إن دولة الإسلام باقية" حيث قال: "كما أخص الشيخ الجليل، والمعلم الموقر، والقائد المحنّك، حكيم الأمة الدكتور أيمن الظواهري أبا محمد، ونبارك له موقعه الجديد، ونسأل الله أن يعينه على أداء هذه الأمانة، ويوفقه إلى خير ما يحبه ويرضاه"اهـــ.

ولعلك بهذا تذكر حديث عبد الله بن سلام في صحيح البخاري رقم: (٣٣٢٩)، "... قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أي رجل فيكم عبد الله بن سلام**» قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أفرأيتم إن أسلم عبد الله**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه".

٣٧ في أول كلمة صوتية له بعنوان: "ويأبى الله إلا أن يتم نوره".

٣٨ وهو خريف جدب، أو هو ربيع الغرب! لم يعد على البلاد المسلمة إلا بالخراب والدمار كما هو مشاهد، وجاءت ببيان فساده الأحاديث -كما سيأتي إن شاء الله- وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

الظواهريّ بعنوان "عز الشرق أوله دمشق" يدعو فيها للجهاد في سوريا، وقد كان "أبو محمد الجولانيّ"[39] في ذلك الوقت في العراق، واقترح على أبي بكر البغداديّ مشروعًا للجهاد في سوريا، فخوله أبو بكر ذلك، ووضع ثقته فيه ليكون قائدًا لـــ"جبهة النصرة"[40]، وأخذت الجبهة تتوسع في الشام، ومن ثَمَّ أعلن أبو بكر البغداديّ في ٢٨ جمادى الأول ١٤٣٤هـــ الموافق ٢٠١٣/٤/٩ عبر كلمة بعنوان: "وبشر المؤمنين" أن جبهة النصرة هي فرع لتنظيم الدولة في الشام، وأن أبا محمد الجولانيّ هو أحد جنود دولة العراق الإسلامية، وأنه يناصف معه شهريا ما يأتيهم في "بيت مال المسلمين"!، وأعلن عن انضمام جبهة النصرة للدولة الإسلامية في العراق، واتحادهما ليكونا شيئًا واحدًا تحت مسمى "الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمختصر إعلاميا في "داعش" ودعا الجولانيّ وغيره من جنود الشام إلى "الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى"![41].

فكان هذا البيان صدمة لكل من الظواهريّ[42] والجولانيّ[43] وأتباعهما في كل مكان[44]، وهو الشيء الذي عبّر عنه كل من الظواهريّ والجولانيّ بقولهما: "م نستأمر ولم نستشر فيه، وأنه مخالفة للتوجه العام للقاعدة ومخالفة لمراعاة المصالح والسياسة الشرعية"، واعتبروا ذلك فرضًا من الدولة لنفسها على الفصائل والجماعات الجهادية، وأنها انشقت وخرجت عن طاعة قادتها في تنظيم "قاعدة الجهاد"، ومن ثم قام أبو محمد الجولانيّ بإصدار بيان حول بيان أبي بكر البغداديّ، وكان مما جاء فيه: أن الدولة تُبنى بسواعد الجميع ممن شاركوا في الجهاد، لا بفصيل واحد! وأنه قد استجاب لطلب أبي بكر

---

٣٩ وهو أمير جبهة النصرة الحالي.

٤٠ ذكر ذلك الجولانيّ نفسه، في مقطع صوتي بعنوان: "بيان من أبي محمد الجولانيّ تعقيبًا على إعلان دولة العراق والشام"، وذكره أبو بكر البغداديّ أيضا في كلمة "وبشر المؤمنين إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام".

٤١ وقد وضح أبو محمد العدنانيّ، أن الدولة سارعت بإعلان انضمام الشام خوفا من انشقاقات حدثت من جبهة النصرة فسارعت الدولة بالإعلان لردع حركة الانشقاقات!، في كلمة بعنوان: "فذروهم وما يفترون".

٤٢ مقطع صوتي "شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام".

٤٣ مقطع صوتي "بيان من أبي محمد الجولانيّ تعقيبا على إعلان دولة العراق والشام".

٤٤ وهذا ظاهر جدًّا في ردة الفعل من منظريهم كالمسعريّ والمقدسيّ والعلوان وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم.

البغداديّ "بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى" ولذلك قام بتجديد بيعته لأميره "أيمن الظواهريّ"! أمير قاعدة الجهاد.

ومن هنا قام الخلاف بين جبهة النصرة وبين "داعش" التي تعتبر أن جبهة النصرة فرعًا لها في الشام، وأن خطاب الجولانيّ الأخير يعد انشقاقًا وخروجًا عن طاعة أميره أبي بكر البغداديّ! وخيانة منه لأميره! والخيانة ثمنها معلوم![٤٥].

حتى حكم بينهم بعد ذلك أيمن الظواهريّ وكان ملخص حكمه؛ فصل تنظيم الدولة عن الشام، وأن تبقى ولايتها على أهل العراق، ووكل "أبا خالد السوريّ" للإصلاح وفصل النزاع بينهم.

الأمر الذي أغضب أتباع تنظيم الدولة! واعتبروا ما فعله الجولانيّ خيانة لهم، وامتد الخلاف وتجاوز جبهة النصرة إلى أن وصل إلى تنظيم القاعدة الذي اعتبروه هو وأميره الظواهريّ قد خالف منهج الأوائل كعبد الله عزام وأسامة بن لادن وغيرهم لما قبل بيعة الجولاني له!، واشتد النزاع وكان بينهم صولات وجولات، ومن ثم لم يعتبر تنظيم الدولة بما قاله الظواهريّ بدعوى أنه حكم من قاضٍ لا أمر من أمير!، وأنكروا أنهم أتباع القاعدة![٤٦]، وامتنعوا عن طاعة أمره، أو بتعبيرهم: تنفيذ حكمه؛ لأن به مخالفات شرعية ومنهجية، كما قال ذلك أبو بكر البغداديّ[٤٧]، وفصله أبو محمد العدنانيّ[٤٨]، ومبنى ما

---

[٤٥] ومع هذا الواقع المشاهد فإن أبا محمد لم يستح وقال في كلمته "لن يضروكم إلا أذى": "ومن أعظم وأقبح ما يُفتَرى علينا ونُتَّهَمُ به : أن الدولة تجبر الناس على بيعتها ، وتزعم أنها حصراً الطائفة المنصورة ، والأقبح من ذلك : أنها تعتبر من يخالفها الرأيَ مِنَ الجماعاتِ وَالفصائلِ أو مَن يأبى مبايعتَها أو لا يرى المصلحة في وجودها : أنه أصبحَ مِنَ الأعداءِ ومن الصحوات ... حلالَ الدم ، ولا بد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات ، نعوذ بالله من هذه الافتراءات ! ، أو أن نعادي أية جماعة أو فئة أو كتيبة : لمجرد أنها تخالفنا الرأي ، أو لمجرد أنها تأبى مبايعة الدولة ... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة : هي نصرة المظلومين ، ودفع العدو الصائل ، والكف عمن كف عنها".

[٤٦] في كلمة للمتحدث الرسميّ أبي محمد العدنانيّ بعنوان: "عذرا أمير القاعدة".

[٤٧] في كلمة بعنوان: "باقية في العراق والشام".

[٤٨] في كلمة بعنوان: "فذرهم وما يفترون".

ذكره في بيان هذه المخالفات على أن ما صدر من الظواهريّ حكم من قاض لا أمر من أمير، ولذلك خرج أيمن الظواهريّ يبيّن أنهم أتباع لتنظيم القاعدة وأن قادة تنظيم القاعدة أمراء لهم، من كلامهم وخطاباتهم ورسائلهم إلى القاعدة، فعندئذ يجب عليهم السمع والطاعة[٤٩].

ثم تم قتل "أبي خالد السوريّ" واتُّهم أتباع تنظيم الدولة بقتله، فخرج بيان نصيّ من "داعش" أنها لم تأمر ولم تستأمر في قتل أبي خالد السوريّ، وأن القرارات لا تؤخذ من الجنود وآحاد الرجال، وإنما من القادة واللجنة الشرعية بالدولة!، وأخرج أبو محمد الجولانيّ رثاء لأبي خالد السوريّ وحذَّر أتباع تنظيم الدولة إن لم تكف عما تفعل أن يقتلعها من جذورها من العراق!.

وتفاقمت الخلافات بينهم جميعًا، ثم قام "تنظيم الدولة" -على عادته من العجلة في مواجهة مخالفيه- بإعلان "الخلافة الإسلامية"[٥٠]!! على العالم كله!، وإلغاء اسم العراق والشام، وأن أبا بكر البغداديّ هو خليفة المسلمين! الذي يجب بيعته في رقاب جميع

---

٤٩ في كلمة بعنوان: "شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام".

٥٠ وكأن هذا الإعلان يخرجهم من التبعية لتنظيم قاعدة الجهاد، ولذلك أخذوا يرددون بعد أنه لا يمكن أن تخضع دولة وخلافة! لحكم تنظيم بل الواجب العكس!!، وحسبوا أن هذه الإعلان كافٍ في تحقيق الدعوى!، كأن الخلافة لم يمنع من إقامتها من قبل إلا عدم وجود رجل من قريش من آل البيت —هذا إن كان من قريش فضلا عن آل البيت- واجتماع عدد من الناس حوله وبيعته بالخلافة!!، وهذا ينبئ عن حقيقة مدارك العقول عند القوم!. ومن باب شهد شاهد من أهلها يقول أبو قتادة الفلسطينيّ :"إن ما أراده البغداديُّ **إن كان هو صاحبَ الأمر حقًّا في هذا التنظيم** -مع أني في شكٍّ من ذلك- فإن الكثيرَ من الإشارات تدلُّ أن الرجلَ حالُه مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهيمان، **حيث الضعفُ النفسيُّ الذي يحققُ سلاسةَ القيادة لمثل العدنانيِّ وغيره** ممن وصلني عنهم هذه الأخبارُ ومعانيها، أقول إن ما أراده البغداديُّ بإعلان الخلافة قطعُ الطريق على الخلافِ الشديدِ على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، **وخاصة بعد أن تبيَّن كذبُ دعواهم أن لا بيعة في أعناقهم للدكتور أيمن**، والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والرد، إذ يقومُ بدلاً عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب**، فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء" ثياب الخليفة ص٨.

المسلمين، ونصرته من جميع طوائف المجاهدين وكان إعلان الخلافة في ١رمضان ١٤٣٥هـــ الموافق ٢٠١٤/٠٦/٢٩، وكان مما قاله أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ باسم الدولة، في إعلانه الخلافة بعد أن ذكر أمورا فارقة بين الخلافة والملك والسلطان: "تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله**، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم،...**وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلّت سيوف الجهاد**"[٥١].

[٥١] كلمة صوتية بعنوان: "هذا وعد الله". وهاهنا لابد من نقل مهم جدا عن خارجيّ كبير ألا وهو أبوقتادة الفلسطينيّ وهو من باب وشهد شاهد من أهلها يقول: "إن تنظيمَ الدولةِ قد دخل فيه الانحرافُ من جهتين: أولاهما: من أفراخِ جماعةِ الخلافةِ، وهي جماعةٌ قَدَمَتْ في الجهل، إن من الشر من حيث زعموا أن الخلافة (الإمامة العظمى) حقيقتها تكون بأن يبايع واحدٌ من المسلمين واحدًا من آل البيت لتكون الحقيقة الشرعية لهذا المسمى العظيم، وقد كان لي معهم كلامٌ طويلٌ حيث بانَ لكل مبتدئٍ من العلم جهلُهم، وأما طالبُ العلم الممكَّن فهو بصيرٌ بجهل هذه الدعوى، وقد كان آخرُ كلامٍ لي مع الخليفة المزعوم أن **قلتُ له إن طريقَكم يجمعُ بين ضلالِ الروافضِ والخوارجِ**: **وأما أخذكم عن الروافض** فهو من جهةِ تسمية المعدومِ وهو إمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري إمامًا، ... وحيث سميتُم الوهمَ (صيغة الخلافة عندهم) اسمًا شرعيًّا مباركًا (أي الخلافة) فأنتم في هذا الباب على نهج الروافض، وهم أكثرُ الناس وهمًا في هذا الباب حيث يسمون الغائب "المعدوم" إمامًا ويعلِّقون عليه أحكامَ الإمامة، بل وأكثر من ذلك.

وأما أنكم تشابهون الخوارج؛ فإنكم أتيتم بالشرِّ الأكبر فيهم حيث كفرتم المخالفَ لكم في هذا المعنى، وقد صرَّح لي "خليفتهم" وفقيههم المقدم فيهم أنهم كانوا على هذا الاعتقاد وهو تكفيرُ مَن لم يبايع خليفتَهم، ولكنهم قالوا: إن اعتقادنا هذا قد تغيَّر -أي الخليفة! والفقيه!- وإن كان بعضنا على هذا الاعتقاد، وهي مسألةٌ لا نوالي عليها، فهي عندهم مسألةٌ خلافية يجوزُ فيها الافتراقُ دون الفراقِ، وحيث كان هذا معتقدهم في الابتداء فقد وقع منهم جهالاتٌ كثيرةٌ من إباحةِ الدماءِ والأموالِ...هذا هو مصدرُ الانحراف الأول في جماعةِ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ، وقد كان بعضُ الناس من خارج جماعة "الدولة" تنظيمًا ومكانًا يدعو إلى بيعة البغداديِّ بيعةَ الخلافة، وكان هذا يُحمَل عند الناظرين على الجهل والتهور وسعار المخالفة، ولم يكن يُرى هذا المعنى جليًّا في جماعة "الدولة" إلا عند من يدقِّقُ في كلامهم في رفضهم للتحاكم بينهم وبين مخالفيهم... مع أن بعض مسؤوليهم الشرعيين فاحت منه هذه الجهالاتُ وهو قوله: إن الإمامة من أصول الدين، وهي مناطٌ للتكفير والإيمان.

واستمر القتال بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة إثباتًا للذات وفرضًا للقوة وحرصًا على الأرض كي تكون الشام تابعة لهم[٥٢]!!، و لم يتوقف هذا القتال رعاية للأشهر الحرم![٥٣].

ثم قاموا بعد ذلك بعقد هدنة وتركوا القتال –لا للأشهر الحرام!!–، وإنما لما اجتمعت عليهم الجيوش، وبقي الخلاف بينهم وبراءة كل واحد من الآخر، والعجيب أنهم جميعًا ينتسبون إلى أسامة بن لادن ويتبنون فكره، فتولوا جميعًا أسامة بن لادن وبرئ بعضهم من بعض!!.

أما مصدرُ الانحراف الثاني في جماعة الدولة فهي بقايا جماعاتِ التوقُّف والتبيُّن، وبقايا جماعات الغلو ممن يطلق عليهم جماعاتُ التكفير، وقد نفر بعضُ هؤلاء إلى الجهاد في بداية أمره، وأعلمُ بعض أسمائهم، وقد أحدثَ هؤلاء من الشرِّ في رؤوس البعض، كما أنه صار لكلامهم أثرٌ كبيرٌ في رؤوسِ الشبابِ الجُدد الذين نفروا من مناطقَ صحت فجأةً من هوة الجهل العميق إلى حالة التديُّن، ومثل هؤلاء كالعجميِّ إن أسلم؛ فإن وُفِّق لصاحب سُنَّة اهتدى، وإلا كان فسادُه عظيمًا كما قال الأئمة من قبل، ولذلك تجدُ عامةَ أتباع هؤلاء من الجهلة المبتدئين في التديُّن حيث يعجز جهلهم عن فهْمِ مضايق مسائل العلم، ومعلومٌ لأهل العلم أن تتريلَ الأحكامِ الشرعية من مضايق الفقه، بل هو أعوص ما يلاقيه الفقيهُ نفسُه، فكيف يُجعَلُ حكمُ الكفرِ والإيمانِ على الأشخاص والجماعات في يدِ جاهلٍ لا يعرف أحكامَ المياهِ والوضوءِ والصلاةِ،..."ا.هـ من ثياب الخليفة له ص(١-٣).

٥٢ مما قاله أبو محمد العدنانيّ ردًّا على الظواهريّ في كلمة "فذروهم وما يفترون" قال: "في أي ميزان يترل الحكم بأمر المجاهدين بالانسحاب من الشام، وقادة المجاهدين في كل مكان يتمنون اللحاق بالشام" أهـ، فهذا يبيّن لك سبب حرصهم على الشام ظنًّا منهم أنهم بمجرد دخولهم الشام يكون قد صدق عليهم الوصف الوارد بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم لجنود الشام!! ولو كان الأمر كذلك لثبت لبشار وأبيه من قبل! فتأمل.

٥٣ والأشهر الحرم هي: "رجب، وذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم" والقتال فيها من أكبر الذنوب عند الله، فلماذا لم يتوقف قتالهم بعضهم البعض فيها؟! والله تعالى يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ إلى أن قال سبحانه:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ قال الطبريّ –رحمه الله–: " ولا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءَكم من المشركين، وهو كقوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ ﴾...، ثم نقل عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: يعني: لا تستحلوا قتالا فيه"؛ فإذا حرم قتال المشركين فيه؛ فكيف بقتال المسلمين؟!، بل كيف بقتال أبناء المعتقد الواحد؟!!، فما الظن بغيرهم ممن يخالفهم في المعتقد أو المنهج أو المسلك من المسلمين؟!، كيف بهذه الدماء التي تراق بغير حق؟، تراق ظلما وعدوانا وافتراء وطغيانا، وما أعظم حرمة دم المسلم!!.

هذا ما يدور في الساحة إلى كتابة تلك الكلمات! ولعله ما يدور أيضًا وأنت تقرأ هذه السطور!

وبعد هذه النبذة المختصرة الموثقة[٥٤] عن نشأة "داعش" وعن حقيقة الخلاف بينها وبين جبهة النصرة، وأن الخلاف ليس منهجيًّا، وأنهما على منهج واحد، وعن الأفكار والمناهج التي نبتت منها، لعلك أيها القارئ اللبيب قد استطعت أن تكون فكرة عن عقيدة وفكر "داعش"، ولكن حتى يزداد الأمر وضوحًا؛ فإننا سنتعرف على عقيدة "داعش" وبنودها، وذلك من خلال عقيدتهم التي بثها وبيّنها المؤسس "أبو عمر البغداديّ" ولنعرض هذه العقيدة على منهج الخوارج الأوائل مرورًا بالمتأخرين منهم، ثم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ لنعلم جميعًا هل "داعش" هي خلافة على منهاج النبوة؟ أم فرقة ضالة على منهج الخوارج؟

٥٤ فكلها بمقاطع صوتية يقرونها وينشرونها عن أمرائهم وقادتهم كما رأيت.

عقيدة "داعش":

ونحن الآن سنعرض عقيدة "داعش" كما قرروها ثم سنعرض نشأة ومقالات الخوارج ونناقشهما جميعا على عقيدة ومنهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان؛ ليتبين من خلال هذا العرض وتلك المقارنة والمناقشة: هل "داعش" خلافة على منهاج النبوة؟ أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟.

وهذه العقيدة هي التي قررها أبو عمر البغداديّ -الأمير الأول لدولة الإسلام في العراق- ردًّا منه على ما اتهمت به الدولة من أنها تكفر عوام المسلمين وتستحل دماءهم وتجبرهم على الدخول فيها بالسيف، وسنرى هل هذه العقيدة تنجيه مما رمي به هو ودولته، أم تؤكد ما رمي به؟!

ومما ينبغي التنبيه عليه، أن أبا بكر البغدادي -الأمير الثاني والحالي لهم- قال في أول كلمة له بعنوان "ويأبى الله إلا أن يتم نوره" قال: إن دولة الإسلام باقية على عقيدتها ومنهجها لم ولن تبدل أو تحيد"اهـ إذن فما زالوا على ما ذكره أبو عمر من عقيدة ومنهج لم يغيروها أو يبدلوها.

قال أبو عمر البغداديّ في كلمة له بعنوان "قل إني على بينة من ربي":

"وقد رمانا الناس بأكاذيبَ كثيرةٍ(٥٥) لا أصل لها في عقيدتنا، فادعوا أننا نكفر عوام المسلمين(٥٦)، ونستحل دماءهم وأموالهم، ونجبر الناس على الدخول في دولتنا بالسيف، وعليه فهذه بعض ثوابتنا ترد على تلك الأكاذيب، وحتى لا يبقى لكذاب عذر أو لمحب شبهة.

---

٥٥ من المتقرر شرعًا أنه لا يجوز الكذب على أحد كائنًا من كان -ولو كان من أضل الناس-؛ ولذلك نحن سنحاكمهم إلى كلامهم هم، لا كلام غيرهم عنهم؛ ليتبين ساعتئذ من الكاذب ومن الصادق؟ ومن الدعي ومن المحق؟؛ وبالله التوفيق.

٥٦ ماذا يقصد بالعوام؟ ونحن سنرى في كلامه ومن معه تكفير الجيوش والشرطة ولا شك أنهما يحويان في طياتهما العوام، بل غالب جنودهما من العوام كما هو معلوم عند الكافة!.

أولا: نرى وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله؛ لما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ "ألا تدع تمثلا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته".

تعليق:

نقول: هذا الكلام في ظاهره حق، ولكن!، ما هي مظاهر الشرك وما هي وسائله؟!، الجواب: هي القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله، كما قرره سيدهم وقطبهم –وقد مرّ–، وصرّح به متحدثهم العدنانيّ حيث قال: "فلتعلموا يا أهل السنة الثائرين في كل مكان أن دائنا ليس هو الأنظمة الحاكمة **وإنما القوانين الشركية** التي بها يحكمون فلا فرق بين حاكم وحاكم ما لم نغير الحكم، لا فرق بين مبارك ومعمر وابن علي، وبين مرسي وعبد الجليل والغنوشي، فكلهم طواغيت يحكمون بنفس القوانين غير أن الأخيرين أشد فتنة على المسلمين، فهذا هو دائنا وإن علة ذلنا هي: الركون إلى الدنيا وترك الجهاد، فإذا أردنا رفع الظلم ونيل الكرامة فعلينا **نبذ القوانين الوضعية الشركية**، وتحكيم شرع الله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالجهاد في سبيل الله ... وهذا النسيء الإخوانيّ هو زيادة في الكفر، وليس هو أصل الكفر، إذ إن أصل الكفر كما أوضحنا هو: نسبتهم الحكم والتشريع لغير رب العالمين"أ.هـ من كلمته "السلمية دين من؟!".

ولا تعجب من إجمال أبي عمر البغدادي؛ فهذه هي طريقة القطبيين في تقرير ما يريدون أن يتكلموا عنه بثوب مجمل، وهي طريقة أهل البدع قديما وحديثا كما سيأتي –إن شاء الله–.

قال أبو عمر البغدادي:

ثانيا: الرافضة طائفة شرك وردة وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة.

ثالثا: نرى كفر وردة الساحر ووجوب قتله، وعدم قبول توبته في أحكام الدنيا بعد القدرة عليه، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "حد الساحر ضربة بالسيف".

تعليق:

نقول: وهذا ليس من كلام عمر –رضي الله عنه–، إنما هو من كلام جندب –رضي الله عنه–، والصحيح أنه موقوف على جندب، وأما رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضعيف، كما في سنن الترمذي (١٤٦٠)، قال أبو عيسى: "هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وإسمعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسمعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة. ويروى عن الحسن أيضا، والصحيح عن جندب موقوفا، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر فإذا عمل عملا دون الكفر فلم نر عليه قتلا"اهـــ.

وقال العلامة العثيمين –رحمه الله– عن السحر: "في الشرع؛ ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١٠٢.

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر

في بدن المسحور بإضعافه شيئا فشيئا حتى يهلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله؛ فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

فالسحر قسمان:

شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل به إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اختلف في هذا أهل العلم: فمنهم من قال: إنه يكفر ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾البقرة: ١٠٢، إلى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾البقرة: ١٠٢ ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيا معتديا.

وأما قتل الساحر، فإن كان سحره كفرا؛ قتل قتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر؛ قُتِلَ قَتلَ الصائل؛ أي: قتل لدفع أذاه وفساده في الأرض، وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام" القول المفيد (٤٨٩/١).

قال أبو عمر البغدادي:

رابعًا: ولا نكفر أحدا من المسلمين صلى إلى قبلتنا بالذنوب كالزنا وشرب الخمر والسرقة ما لم يستحلها، وقولنا في الإيمان وسط بين الخوارج الغالين وبين أهل الإرجاء المفرطين، ومن نطق بالشهادتين وأظهر لنا الإسلام ولم يتلبس بناقض من نواقض الإسلام عاملناه معاملة المسلمين، ونكل سريرته إلى الله تعالى، وأن الكفر كفران: أكبر وأصغر، وأن حكمه يقع على مقترفه اعتقادا أو قولا أو فعلا، لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه.

تعليق:

نقول: وبهذا حاول أبو عمر البغدادي النجاة والعصمة من أن يرمى بالخارجية، يحسب أن هذا هو الفاصل والفارق بينه وبين منهج الخوارج، والحق أنه ليس هذا بمنج ولا عاصم من مذهبهم، فقد قال به طوائف من الخوارج، ولم يعصمهم أو ينجيهم من الوصم بالخارجية، كما سيأتي –إن شاء الله– من قول النجدات والحمزية والإباضية، وكلهم خوارج.

قال أبو عمر البغدادي:

خامسا: نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله من خلال الترافع إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: "**نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله**" نقول: والتحاكم إلى شرع الله واجب على كل المسلمين؛ فيأثم كل من لم يتحاكم إلى شرع الله في كل كبيرة وصغيرة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠، ولكن أحوال الحاكمين والمتحاكمين إلى غير شرع الله –أعني: إيمانا وكفرا– فيها تفصيل عند أهل السنة والجماعة سيأتي معنا –إن شاء الله تعالى–.

ثانيا: وهؤلاء يزعمون أنهم الطائفة المنصورة على منهاج النبوة، وأنهم مشربهم سلفي نقي، وإذا كان ذلك كذلك؛ فلابد ألا يخالفوا فهم السلف لنصوص الكتاب والسنة، لا سيما في مسائل الأصول، وهذا أصل عظيم انبنى على مخالفته ضلال فرقة هي أول فرقة فرقت جماعة المسلمين، وقد ثبت هنا مخالفتهم للسلف في هذا الأصل العظيم، فقد قال ابن عباس –رضي الله عنهما– وهو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبيّ صلى الله عليه وسلم: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**"، ولا تنس أنه من أرسله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الخوارج فناظرهم وأقام الحجة عليهم؛ فتاب من تاب منهم؛ ولذلك يقول هنا "يذهبون إليه "أي الخوارج قال رضي الله عنه: "إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه إنه ليس كفرا ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كفر دون كفر" أخرجه الحاكم وغيره، وقال الحاكم: "هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وعلق الألباني -رحمهم الله جميعا- قائلا: "وحقهما أن يقولا: على شرط الشيخين. فإن إسناده كذلك. ثم رأيت الحافظ ابن كثير نقل في "تفسيره" (٦/١٦٣) عن الحاكم أنه قال: "صحيح على شرط الشيخين"، فالظاهر أن في نسخة "المستدرك" المطبوعة سقطا"(السلسة الصحيحة ٦/١١٣).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢): "وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ قالوا: كفروا كفرا لا ينقل عن الملة وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة"أهـــ.

نقول: ويظهر بهذا كذبهم في دعواهم عدم التكفير بالذنوب لا سيما والتكفير بهذه الآية على عمومها وإطلاقها تكفير بذنوب كثيرة ربما تأبى على الحصر في كل من حكم أو تحاكم لغير شرع الله؛ مستحلا أو غير مستحل؛ في مسألة واحدة أو أكثر؛ سواء في نفسه أو غيره؛ بين أبنائه أو زوجاته أو غير ذلك، وهكذا فتنبه؛ ولذلك استمع إلى قول هذا الحبر من السلف -رحمه الله تعالى- يقول سعيد بن جبير: "أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويقرءون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية" أخرجه الآجري في الشريعة (٤٤).

قال أبو عمر البغدادي:

سادسا: نرى وجوب توقير النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتحريم التقدم بين يديه، وكفر وردة من نال من مقامه وجنابه الشريف، أو مقام آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار من الخلفاء الأربعة وسائر الصحب والآل، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: ٨ – ٩، **وقال في وصف أصحابه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾** الفتح: ٢٩.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: " **نرى وجوب توقير النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتحريم التقدم بين يديه** "، هذا الكلام حقّ لا يدفع ولكن يكذّبه واقعهم وما يصدر منهم من التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ لا سيما في التكفير الذي هو حق لله تعالى؛ فلا يُكفّر إلا من كفّره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في سب أصحاب رسول الله: " فصل: في تفصيل القول فيهم.

أما من اقترن بسببه دعوى أن عليًّا إله أو أنه كان هو النبيّ وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لاشك في كفره بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الأمة التي هي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سب إلا صحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب.

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك وإنما ذكرنا هذه المسائل لأنها في تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها". الصارم المسلول (ص: ٥٨٦).

قال أبو عمر البغدادي:

سابعًا: ونؤمن أن العلمانية على اختلاف راياتها وتنوع مذاهبها؛ كالقومية والوطنية والشيوعية والبعثية هي كفر بواح مناقض للإسلام مخرج من الملة، وعليه نرى كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية كحزب المطلق والدليميّ والهاشميّ وغيرهم، لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالى وتسليط لأعداء الله من الصليبيين والروافض وسائر المرتدين على عباد الله المؤمنين، قال تعالى في شأن من وافق في تبديل شيء من شرع الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١، كما نرى أن منهج الحزب الإسلاميّ منهج كفر وردة لا يختلف في منهجه، وسلوكه عن سائر المنهاج الكافرة والمرتدة كحزب الجعفريّ وعلاويّ، وعليه فقيادتهم مرتدون لا فرق عندنا بين مسؤول في الحكومة أو مدير فرع، ولا نرى كفر عموم الداخلين فيه ما لم تقم عليهم الحجة الشرعية.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: "**ونؤمن أن العلمانية ...[إلى] كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية**".

نقول: لا شك أن هذه المذاهب كفرية، وكلام أهل العلم فيها مبسوط في غير هذا الموضع؛ ولكن لابد من بيان الفرق بين كفر النوع والتعيين؛ ولا يخفى عليك أن السلف حكموا على مذهب الجهمية والصوفية وغيرهم بالكفر وأما تكفير الواحد المعين منهم فلا إلا بتوفر الشروط وانتفاء الموانع؛ قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ط/مجمع الملك فهد (١/ ١٠): "ولهذا كنت أقول لأكابرهم: لو وافقتكم على ما تقولونه لكنت كافرًا مرتدًا -لعلمي بأن هذا كفر مبين- وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين، ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية

في الإطلاق والتعميم، وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له لكونه غير عالم بالصراط المستقيم، وقد يكون العلم والإيمان ظاهرًا لقوم دون آخرين، وفي بعض الأمكنة والأزمنة دون بعض بحسب ظهور دين المرسلين".

وقال -رحمه الله- في "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية" (ص: ٣٥٣): "فهذه المقالات هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها وإن أطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل إطلاق القول بنصوص الوعيد مع أن ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين موقوف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه ولهذا أطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا في عين كل قائل بحكم الكفار بل الذين امتحنوهم وأمروهم بالقول بخلق القرآن وعاقبوا من لم يقل بذلك إما بالحبس والضرب والإخافة وقطع الرزق بل بالتكفير أيضا لم يكفروا كل واحد منهم وأشهر الأئمة بذلك الإمام أحمد وكلامه في تكفير الجهمية مع معاملته مع الذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف".

ثانيا: قوله: "**لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالى**".

نقول: إن تبديل شرع الله هو أن ينسب للشريعة ما ليس منها ويدعي أنه حكم الله، وليس هو مجرد الحكم بغير ما أنزل الله، كما "قال ابن زيد في قوله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، قال: من حكم بكتابه الذي كتب بيده، وترك كتاب الله، **وزعم أن كتابه هذا من عند الله، فقد كفر**". رواه الطبريّ بسنده في تفسيره "جامع البيان ت شاكر (١٠/ ٣٥٢) رقم: (١٢٠٣٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٤٢) رقم: (٦٤٢٨).

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧): "والإنسان متى حلل الحرام -المجمع عليه- أو حرم الحلال -المجمع عليه- أو بدّل الشرع -المجمع عليه- كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء. وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: **هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله** ولفظ الشرع يقال في عرف الناس على ثلاثة معان:

"الشرع المنزل" وهو ما جاء به الرسول وهذا يجب اتباعه ومن خالفه وجبت عقوبته.
والثاني "الشرع المؤول" وهو آراء العلماء المجتهدين فيها كمذهب مالك ونحوه. فهذا يسوغ اتباعه ولا يجب ولا يحرم، وليس لأحد أن يلزم عموم الناس به ولا يمنع عموم الناس منه.

والثالث "الشرع المبدل" وهو الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو على الناس بشهادات الزور ونحوها والظلم البين **فمن قال إن هذا من شرع الله فقد كفر بلا نزاع.** كمن قال: إن الدم والميتة حلال -ولو قال هذا مذهبي- ونحو ذلك"اهـــ.

ثالثا: وأما استدلاله بالآية فنقول: نعم الآية على ظاهرها في من بدّل أو استحل —على المعنى الذي مضى بيانه- وزيادة في البيان إليك كلام شيخ المفسرين الإمام الطبريّ في "جامع البيان ت: شاكر" (١٢/ ٨٧): "وأما قوله: (إنكم لمشركون)، يعني: إنكم إذًا مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة **استحلالا.** فإذا أنتم أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين"أ.هـــ.

وفي تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٠) عن سعيد بن جبير، قوله: {وإن أطعمتموهم} يعني: **استحلالا في أكل الميتة** {إنكم لمشركون} مثلهم".

وبسنده عن عيسى بن عبد الرحمن ، قال: سألت الشعبي عن هذه الآية، {وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون} قال: قلت: **تزعم الخوارج أنها في الأمراء، قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين،** كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلون منه يعني: الميتة، وأما ما قتلتم فتأكلون منه، فأنزل الله: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق} إلى قوله: {إنكم لمشركون} قال: لئن أكلتم الميتة وأطعمتموهم إنكم لمشركون" اهـــ، ومدار كلام المفسرين على ذلك.

رابعا: وقوله: "**وعليه فقيادهم مرتدون** ...إلخ".

نقول: لقد فرقتم بين قيادهم وبين عموم الداخلين؛ فما الدليل على هذا التفريق في اشتراط قيام الحجة الرسالية؟! ومن سلفكم في ذلك؟ فإنا لا نعلم لكم أسلافا في ذلك إلا

الخوارج وأهل الزيغ والبدع، أما أهل السنة والجماعة فها هو سبيلهم؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم **والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الاسلام لم يجز الاستغفار لهم** فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة **صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق** وأن الله لا يرى في الآخرة وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال **من كفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه** هذا مع اطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم" مجموع الفتاوى (١٢/٤٨٩).

ويقول أيضا: "ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ويدعون الناس الى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم اذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجبهم حتى أنهم كانوا اذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وغير ذلك ولا يولون متوليا ولا يعطون رزقا من بيت المال الا لمن يقول ذلك **ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالى ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنهم لمن يبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به ولكن تأولوا فأخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك**" مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٨–٣٤٩).

وقال أيضا: "والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكفير الجهمية المشبهة وأمثال هؤلاء ولم يكفر أحمد الخوارج ولا القدرية إذا أقروا بالعلم وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة لكن حكي عنه في تكفيرهم روايتان.

وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم **مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال إنه جهمي كفره ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ويرى الائتمام بهم في**

الصلوات خلفهم والحج والغزو معهم والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم وإن لم يعلموا هم أنه كفر وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة وإن كانوا جهالا مبتدعين وظلمة فاسقين" مجموع الفتاوى (٧/٥٠٧-٥٠٨).

يقول أبو عمر البغدادي:

ثامنا: نرى كفر وردة من أمد المحتل وأعوانه[٥٧] بأي نوع من أنواع المعونة من لباس أو طعام أو علاج أو نحوه مما يعينه ويقويه، وأنه بهذا الفعل صار هدفا لنا مستباح الدم.

تعليق:

نقول: إن الأمر في إعانة الكافرين وموالاتهم ليس على هذا الإطلاق المشين كما هي عادة القوم!!، ولكن المسألة فيها تفصيل عند أهل السنة والإيمان، فالموالاة تنقسم إلى قسمين:

أولا: موالاة مطلقة عامة، وهذه كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر.

ثانيا: موالاة خاصة، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة، ومن كلام العلامة القصيميّ محمد بن عبد الله بن سليم في هذا المعنى، قال رحمه الله: "النوع الأول: أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر، ويطمئن إلى ذلك ويرضى به، فهذا كفر بلا ريب.

النوع الثاني: أن يودهم لغرض دنيويّ، مع كراهته لما هم عليه، وتضليلهم، فهذا قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، متعرض للوعيد" (الدرر السنية ١٥/٤٧٩).

وقد يقول قائل: إن الموقف عصيب والأمر أمر حرب؛ فيقال له: وكذلك كان الموقف في حديث حاطب؛ كما هو ظاهر؛ فتأمل!.

---

٥٧ قال أبو بكر البغدادي في كلمة بعنوان: "ولو كره الكافرن": " عن حكام المسلمين أنهم أذناب أمريكا وحلفائها وأنهم "عبيد مرتدون"، و"عملاء خونة"، وأنهم "عبيد وكلاب"، وأنهم "طواغيت"، وأن آل سعود هم "آل سلول"، وأن ملك السعودية هو "رأس الأفعى ومعقل الداء"، وأن جيوشهم "جيوش المرتدين".

وفي كتاب الأم للشافعي –رحمه الله– (٢٦٣/٤) ط/دار المعرفة – بيروت: "قيل للشافعي: أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم أو بالعورة من عوراتهم هل يحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟

قال الشافعي –رحمه الله تعالى–: لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل أو يزني بعد إحصان أو يكفر كفرا بينا بعد إيمان ثم يثبت على الكفر، وليس الدلالة على عورة مسلم ولا تأييد كافر بأن يحذِّر أن المسلمين يريدون منه غرة ليحذرها أو يتقدم في نكاية المسلمين بكفر بين.

فقلت –أي: الربيع– للشافعي: أقلت هذا خبرا أم قياسا؟ قال: قلته بما لا يسع مسلما عَلِمَه عندي أن يخالفه بالسنة المنصوصة بعد الاستدلال بالكتاب.

فقيل للشافعي: فذكر السنة فيه. قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: "سمعت عليا يقول: بعثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنا والمقداد والزبير فقال: **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب،** فخرجنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالظعينة فقلنا لها: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين ممن بمكة يخبر ببعض أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: **ما هذا يا حاطب؟** قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة قرابة؛ فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا، والله ما فعلته شكا في ديني، ولا رضا ولا كفرا بعد الإسلام، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **إنه قد صدق** فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: **إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**، قال: فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾. قال الشافعي –رحمه الله تعالى–: في هذا الحديث مع ما وصفنا لك طرح الحكم باستعمال

الظنون لأنه لما كان الكتاب يحتمل أن يكون ما قال حاطب كما قال من أنه لم يفعله شاكا في الإسلام وأنه فعله ليمنع أهله.

ويحتمل أن يكون زلة لا رغبة عن الإسلام.

واحتمل المعنى الأقبح كان القول قوله فيما احتمل فعله وحكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه بأن لم يقتله و لم يستعمل عليه الأغلب ولا أحد أتى في مثل هذا أعظم في الظاهر من هذه لأن أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مباين في عظمته لجميع الآدميين بعده؛ فإذا كان من خابر المشركين بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يريد غرتهم فصدقه ما عاب عليه الأغلب مما يقع في النفوس فيكون لذلك مقبولا كان من بعده في أقل من حاله وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه.

قيل للشافعي: أفرأيت إن قال قائل: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: قد صدق إنما تركه لمعرفته بصدقه لا بأن فعله كان يحتمل الصدق وغيره.

فيقال له: قد علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن المنافقين كاذبون وحقن دماءهم بالظاهر، فلو كان حكم النبي -صلى الله عليه وسلم- في حاطب بالعلم بصدقه كان حكمه على المنافقين القتل بالعلم بكذبهم ولكنه إنما حكم في كل بالظاهر وتولى الله عز وجل منهم السرائر، ولئلا يكون لحاكم بعده أن يدع حكما له مثل ما وصفت من علل أهل الجاهلية وكل ما حكم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو عام حتى يأتي عنه دلالة على أنه أراد به خاصا أو عن جماعة المسلمين الذين لا يمكن فيهم أن يجعلوا له سنة أو يكون ذلك موجودا في كتاب الله عز وجل"اهـــ.

قال الإمام ابن بطال -رحمه الله تعالى- في شرحه على صحيح البخاريّ (٥/ ١٦٢)ط/مكتبة الرشد: "قال الطبريّ...وقد روى مثل ذلك عن الأئمة [أي: فعل النبيّ صلى الله عليه وسلم مع حاطب رضي الله عنه]، روى الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب أن عامله على البحرين أتى برجل قامت عليه بينة أنه كاتب عدوًا للمسلمين بعورتهم، وكان اسمه: أضرباس، فضرب عنقه وهو يقول: يا عمر، يا عمراه، فكتب عمر إلى عامله فقدم عليه فجلس له عمر وبيده حربة، فلما دخل عليه

علا لجبينه بالحربة وجعل يقول: أضرباس لبيك، أضرباس لبيك. . فقال له عامله: يا أمير المؤمنين، إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهَمّ أن يلحق بهم. فقال له عمر: قتلته على هذه، وأيّنا لم يَهمّ، لولا أن تكون سيئة لقتلتك به" ا.هـــ.

وقال الإمام القرطبيّ في تفسيره.ط/دار الكتب المصرية (١٨/ ٥٢): " من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرا إذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد و لم ينو الردة عن الدين"اهـــ.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٢): "إن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله. كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨١، وقال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ المجادلة: ٢٢، وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرًا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ الممتحنة: ١. وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أُبي في قصة الإفك. فقال: لسعد بن معاذ: كذبت والله؛ لا تقتله ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا ولكن احتملته الحمية. ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبًا منافقًا فقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه شهد بدرًا} فكان عمر متأولا في تسميته منافقا للشبهة التي فعلها. وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة؛ كذبت لعمر الله لنقتلنه؛ إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين؛ هو من هذا الباب. وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم: منافق وإن كان قال ذلك لما

رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين. ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا بل فيهم المنافق المحض؛ وفيهم من فيه إيمان ونفاق؛ وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق. وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان؛ ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك؛ صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك.

ومن هذا الباب ما يروى عن الحسن البصريّ ونحوه من السلف؛ أنهم سموا الفساق منافقين؛ فجعل أهل المقالات هذا قولا مخالفا للجمهور؛ إذا حكوا تنازع الناس في الفاسق الملي هل هو كافر؟ أو فاسق ليس معه إيمان؟ أو مؤمن كامل الإيمان؟ أو مؤمن بما معه من الإيمان فاسق بما معه من الفسق؟ أو منافق والحسن -رحمه الله تعالى- لم يقل ما خرج به عن الجماعة لكن سماه منافقا على الوجه الذي ذكرناه. والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال: الشرك شركان أصغر وأكبر..." ا.هـ.

ويقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله- في مصباح الظلام (١/ ١٣٣): "إن جنس الموادة للمشركين قد تقع من مسلم قد برئ من النفاق الأكبر، وآية سورة الممتحنة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وهو بريء من النفاق بشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فإنه لما اعتذر إليه، وقال: "إني لم أفعل هذا رغبةً عن الإسلام ولا شكا فيه، وإنَما أردت أن تكون لي عند القوم يد تحمي أقاربي ومن لي بمكة" أو نحو هذا الكلام، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "**صدق**" فكيف يجعله هذا المعترض منافقا وقد شهد بدراً، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لعمر: "**ما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**" ... وأول السورة يدل على إيمانه، وأن المشركين من أعدائه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ الممتحنة: ١"اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

تاسعًا: نرى أن الجهاد في سبيل الله فرض على التعيين منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين، وهو مع كل بر وفاجر، وأعظم الآثام بعد الكفر بالله النهي عن الجهاد في سبيل الله في زمن تعينه، قال ابن حزم: "ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم، من أجل فسق رجل مسلم لا يحاسب غيره بفسقه"[٥٨].

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: "**نرى أن الجهاد في سبيل الله فرض على التعيين**"، قد تابعه على ذلك أبو محمد العدنانيّ –المتحدث الرسميّ باسم الخوارج– في كلمة له بعنوان "الآن الآن جاء القتال" بل زاد فقال: "إنَّ كل جنديٍّ في دولة العراق الإسلامية وكل مجاهد يعتقد أن

---

٥٨ وكما برئت **الأزارقة** من القعدة (الذين لم يحملوا السيف!!) -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- وامتحنوا الناس بذلك وكفروا من لم يبرأ منهم؛ فعلت كذلك داعش حيث برئت من القاعدين عن الجهاد -بزعمهم- (الذين لم يحملوا السيف) ممن هم خوارج مثلهم كالإخوان وحزب النور وغيرهم؛ كما في "السلمية دين من؟!" لأبي محمد العدنانيّ، بل قال في "عذرًا أمير القاعدة" ردًّا على أيمن الظواهريّ رأس خوارج "القاعدة": "كفاك حتّى لا تؤدي إلى ضلالٍ كبيرٍ وفسادٍ عريض كما أوصانا وحذّرنا الزرقاويّ والليبيّ أمراء القاعدة، وأن تدعوَ المسلمين لجهاد وقتال أولئك كلِّهم دعوةً صريحة بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين كالمقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهيرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والنضال وغيرها.. بألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوة الصريحة **لحمل السلاح ونبذ السلميّة وخصوصاً في مصر لقتال جيش الردّة، جيش السيسي فرعون مصر الجديد، وإلى التبرؤ من مرسي وحزبه والصدع بردّته وكفاكَ تلبيساً على المسلمين**، نعَم.. مرسي المرتدّ الطاغوت الذي خرجَ بنفسه على رأس جيشه إلى سيناء، لا لحرب اليهود، بل لحرب المجاهدين الموحّدين هناك، فدكَّ بطائراته ودباباته بيوتهم وبيوتَ المسلمين، نعَم.. ذلك الطاغوت الذي من شدّة حقده على المجاهدين الموحّدين عيّن قاضياً نصرانيًا صليبيًا ليحكم على مَن أُسِرَ منهم، وطبعًا جاء الحُكم بالإعدام، فوقّع عليه ذلك **المرتدّ الطاغوت** ليشفي غليله منهم، فعلامَ لم تُنكِر عليه، ولم تدعُ للقصاص منه؟! بل صوّرتَهُ مظلومًا وترفّقْتَ بِهِ، ودعوتَ له! أم أنّك راضٍ عن فعلِهِ ودستورِهِ الذي حكمَ به؟ وما سفكَه من دماء المجاهدين المرابطين الموحّدين في سيناء، ولا نحسبُكَ كذلك"أ.هـ.

الجهاد في زماننا من أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله عز وجل، ويعتقد أن عليه أن يقاتل في سبيل الله **حتى ولو لم يبق مجاهدٌ غيره في هذا الزمان**؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أمره قائلاً: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ ﴾النساء: ٨٤، وإنَّ كل مجاهدٍ على يقين أنَّ الله تبارك وتعالى سينصره ويكفُّ عن المسلمين بأس الذين كفروا **حتى لو لم يُبقِ على وجه الأرض مقاتلا سواه**" ا.هـــ.

نقول: انظر –رحمك الله– إلى هذا الاعتقاد الذي لم يقل به أحد قبل هؤلاء الأحداث السفهاء، فلم يسبقهم إلى هذا القول والاعتقاد أحد من أهل العلم قط، وإنما هي الجرأة والتقول في دين الله، والتقدم بين يدي رسول الله –ولا تنس ما ذكروه قبل هذا من حرمة التقدم بين يدي رسول الله–.

وأما هذه الآية التي استدل بها فانظر إلى تفسير العلماء والأئمة سلفا وخلفا لهذه الآية، قال شيخ المفسرين الطبري –رحمه الله– في تفسيره (٨/ ٥٧٩): "لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك، إلا ما حمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه، أي: أنك إنما تُتَّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كُلِّفته دون ما كُلِّفه غيرك".

وقال ابن القيم –رحمه الله– في مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٦٥): "فلما أمره بالقتال وأخبره أنه لا يكلف بغيره، بل وإنما يكلف بنفسه أتبعه بقوله: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾النساء: ٨٤، لئلا يتوهم سامع أنه وإن لم يكلف بهم فإنه يهملهم ويتركهم".

وقال السعديّ –رحمه الله– في تفسيره لهذه الآية: "ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك"اهـــ.

فتأمل الفرق بين كلام العلماء وبين كلام هؤلاء!، فإن أهل العلم لم يفهموا من هذه الآية أن المسلم مأمور بالجهاد ولو لم يكن هناك غيره، بل فهموها على نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ وأن الإنسان لا يكلف في الجهاد ولا في غيره إلا ما يطيق ويستطيع، فإذا أمر الإنسان أن يجاهد ولو كان وحده فهذا مما لا يطاق أصلا، فإن

الجهاد ليس عبادة فردية وإنما عبادة جماعية مناطة بجماعة المسلمين وإمامهم؛ ولذا تأمل كلام شيخ الإسلام –رحمه الله–، وفي أي سياق ذكر هذه الآية واستدل بها، حيث يقول في (مجموع الفتاوى (٢٦/١): "ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي، كقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦، ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾النساء: ٨٤، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾الطلاق: ٧، أي: وإن وقع في الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوسع".

وقال –رحمه الله– مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٤): "إن الله لا يجعل الذنب ذنبا لمن لم يفعله فإنه هو القائل: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾. فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذنب آدم صلى الله عليه وسلم أو أمته أو غيرهما. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾وقال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنوب الأنبياء كلهم"اهـ.

كذلك يتبين بطلان هذا الاستدلال بما ورد من الأدلة الكثيرة الصريحة على اشتراط القدرة والاستطاعة على الجهاد ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٦٦، ففي تفسير الطبري (١٤/ ٥٢) عن عبد الله بن عباس، قال: "لما نزلت هذه الآية، ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفا، فخفف الله عنهم. فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ ﴾، قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم

لم ينبغ لهم أن يفروا منهم. وإن كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم". وانظر تفسير ابن كثير للآية.

وفي تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٨) عن ابن عباس قال: "لما نزلت ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ الأنفال: ٦٥ فكتب عليهم أن لا يفر عشرون من المائتين ولا يفر واحد من عشرة ثم قال: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ فكتب عليهم أن لا يفر واحد من اثنين ومائة من المائتين، فإن فر من ثلاثة فلم يفر".

"وقال الشافعيّ : وهذا كما قال ابن عباس إن شاء الله تعالى مستغنى فيه بالتتريل عن التأويل وقال: الله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ الآية، فإذا غزا المسلمون أو غزوا فتهيئوا للقتال فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا عنهم إلا متحرفين إلى فئة فإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا عنهم، ولا يستوجب السخط عندي من الله عز وعلا لو ولوا عنهم إلى غير التحرف للقتال والتحيز إلى فئة؛ لأنا بينا أن الله عز وجل إنما يوجب سخطه على من ترك فرضه وأن فرض الله عز وجل في الجهاد إنما هو على أن يجاهد المسلمون ضعفهم من العدو، ويأثم المسلمون لو أطل عدو على أحد من المسلمين وهم يقدرون على الخروج إليه بلا تضييع لما خلفهم من ثغرهم إذا كان العدو ضعفهم وأقل" ا.هـــ من الأم للشافعيّ –رحمه الله تعالى– (٤/ ١٧٨).

وقال عز وجل: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ التوبة: ٩١ – ٩٢.

أخرج البخاريّ –رحمه الله– في صحيحه برقم: (٤٤٢٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال:

"**إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**"، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: "**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**" قال الحافظ -رحمه الله-: "والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ "**حبسهم المرض**" وكأنه محمول على الأغلب" فتح الباري (٦/ ٤٧).

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٥.

قال الشنقيطيّ في أضواء البيان (١/ ٢٤٨): "يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة: وكلا وعد الله الحسنى، أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركين فرضا لما ناسب ذلك وعده لهم الصادق بالحسنى ؛ وهي الجنة والثواب الجزيل"اهـ.

وهذا هو الأصل في الجهاد أنه فرض على الكفاية وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يمكن بحال أن يكون فرضَ عينٍ على كل مسلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة: ١٢٢.

ولكنه يتعين على بعضهم في أربع حالات بينها العلامة العثيمين -رحمه الله- كما في مجموع فتاويه ورسائله (٢٥/ ٣١٦) "سئل فضيلة الشيخ -رحمه الله-: ما حكم الجهاد في زماننا هذا؟ وهل هو فرض كفاية أم فرض عين؟ وإذا كان الجهاد فرض كفاية فمتى يكون فرض عين على هذه الأمة؟.

فأجاب بقوله: أولاً: يجب أن تعلم أن الجهاد لا يكون فرض عين على جميع المسلمين، هذا شيء مستحيل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ التوبة: ١٢٢، وبَّين سبحانه وتعالى الحكمة، فقال: (لِيَتَفَقَّهُوا)

أي: القاعدون في المدينة [ويفقهوا] (قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ)؛ لأنهم لو انصرفوا كلهم إلى الجهاد لتعطلت بقية الشرائع والشعائر. لكن يكون فرض عين في مواضع:

الموضع الأول: إذا حضر الإنسان صفَّ القتال فإنه يجب عليه أن يواصل الجهاد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ الأنفال: ١٥ - ١٦.

الموضع الثاني: إذا حاصر العدوُّ بلده، فهنا يجب عليه أن يقاتل دفاعًا عن نفسه، وبلده الإسلامي.

الموضع الثالث: إذا استنفره الإمام؛ يجب عليه أن يخرج. فمثلاً: يقول الإمام لأهل البلد: هيا اخرجوا للجهاد، فيجب أن يخرجوا؛ لأن معصية ولاة الأمور محرَّمة، ولما وجه الخطاب لهؤلاء وجب عليهم أن يقوموا بذلك.

الموضع الرابع: إذا احتيج إليه بأن يكون هذا الرجل يعلم من استعمال هذا النوع من السلاح وغيره ما لا يعمله غيره، فهنا يتعين عليه أن يباشر.

وفي غير هذه المواضع الأربع لا يكون الجهاد فرض عين، ثم إن الجهاد لابدَّ له من راية إمام، وإلا كانت عصابات. فلابد من إمام يقود الأمة الإسلامية، ولذلك تجد الذين قاموا بالجهاد من غير راية إمام لا يستقيم لهم حالٌ، بل ربما يُبادُون عن آخرهم، وإذا قُدِّر لهم انتصار صار النزاع بينهم. فعلى كل حال نسأل الله أن يُعيننا على جهاد أنفسنا، فنحن الآن في حاجة إلى جهاد النفس، فالقلوب مريضة، والجوارح مقصِّرة، والقلوب متنافرة، وهذا يحتاج إلى جهاد قبل كل شيء"اهـــ.

ثانيا: قوله: "**منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين**".

نقول: لقد سقطت الأندلس من عدة قرون، وكان العلماء آنذاك متوافرون، ولا نعلم قولا لعالم معتبر من أهل الاجتهاد أوجب على جميع المسلمين وجوبا عينيا أن ينفروا إلى الأندلس ليحرروها!!، وهنا لابد من بيان أمر مهم متعلق بالجهاد به تزول كثير من

الإشكالات وهو مراحل تشريع الجهاد وهديه صلى الله عليه وسلم مع الكافرين والمنافقين، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله– في زاد المعاد (٣/ ١٤٣): "أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾، فنبأه بقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ وأرسله بـــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح. ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل من نقض عهده. ولما نزلت سورة {براءة} نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن " يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان.

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسما أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم. وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم. وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم... فقتل الناقض لعهده، وأجلَّ من لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتم للمُوفي بعهده عهده إلى مدته، فأسلم هؤلاء كلهم، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية.

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول (براءة) على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين،

وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب"اهـــ.

فهذه مراحل الجهاد ولكل مرحلة حالها الذي مرت به، وهذه المراحل متعلقة بهذه الأحوال كلما وجد حال وجدت المرحلة كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في الصارم المسلول (ص: ٢٢١): "فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" اهـــ.

فإن قال قائل: إن هذه الأحوال منسوخة بآية السيف!.

نقول: إن من شرط النسخ تحقق التعارض بين الناسخ والمنسوخ، ولا يكون النسخ إلا إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للمنسوخ، والأمر بالقتال في حال القوة لا يناقض الأمر بالكف في حال الضعف؛ ولذلك قال الإمام ابن كثير –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾الأنفال: ٦١، ردا على من زعم أن الآية منسوخة بآية السيف ط/ الكتب العلمية (٤/ ٧٤) "وهذا فيه نظر لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفا فإنه يجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم" اهـــ.

قال الزركشي –رحمه الله– في البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٢) مبينا أقسام النسخ: "ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم نسخه إيجاب لذلك وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسء كما قال تعالى: {أو ننسئها} فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى

أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدا" اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

عاشرًا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبيّ، ولذا وجب التنبيه أننا سنقاتل أي قوات غازية لدولة الإسلام في العراق، وإن تسمت بأسماء عربية أو إسلامية، وننصحهم ونحذرهم أن لا يكونوا كبش فداء للمحتل كما هو مقترح لحل أزمة المحتل الصليبيّ في العراق.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: " **ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر**...[إلى] **فهي ديار كفر**".

نقول: من أين لهم أن الديار يحكم عليها بالشرائع والأحكام؟!، بل الديار بساكنيها والغالب فيها، فما دامت الغالبية لأهل الإسلام يقيمون الشعائر الظاهرة من أذان وجُمع وجماعات فهي دار إيمان وإسلام، قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -مقررا اعتقاد أهل السنة والفرق بينه وبين غيره- في (اعتقاد أهل السنة، ص:٥٦،ط/دار ابن حزم): "ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر -كما رأته المعتزلة-، مادام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين، وأهلها ممكنين منها آمنين".

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٨٢ :٢٨٤): "وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها؛ بل هي صفة عارضة بحسب سكانها فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت فإن سَكَنَها غيرُ ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم. وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة أو صار دار فسق أو دار ظلم أو كنيسة يشرك فيها بالله كان

بحسب سكانه؛ وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا جعلت مسجدا يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب ذلك وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقا والكافر يصير مؤمنا أو المؤمن يصير كافرا أو نحو ذلك كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال وقد قال تعالى: {وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة} الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه وإنما أراد سكانها... فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلما وتارة كافرا وتارة مؤمنا؛ وتارة منافقا وتارة برا تقيا وتارة فاسقا وتارة فاجرا شقيا. وهكذا المساكن بحسب سكانها"اهـ.

وقال الشوكاني –رحمه الله- في السيل الجرار (ص: ٩٧٦، ط/دار ابن حزم) "قوله: "فصل ودار الإسلام...الخ".

أقول: الاعتبار بظهور الكلمة فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذونا له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية وإذا كان الأمر العكس فالدار بالعكس"اهـ.

ثانيا: قوله: "**ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار**".

نقول: فما فائدة وصم هذه الديار بأنها ديار كفر؟! أليس لتكون دار حرب؟!، وساكن دار الحرب حلال الدم حلال المال حلال العرض!!، فماذا تقصد بقولك ديار كفر ولا يلزم من ذلك أن نكفر ساكنيها، فهذا كلام لا معنى له أو هي مراوغة مكشوفة للفرار من وصم الخارجية، -ومع ذلك فهو قول الإباضية من الخوارج كما سيأتي إن شاء الله-، وإلا فما الذي يترتب على ذلك؟ وهل الديار إلا بساكنيها، أم أنك ستحارب الجدار والأشجار والبحار والأنهار؟!! قال الشوكاني –رحمه الله- في (السيل الجرار، ص: ٩٧٧): "واعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جدا لما قدمنا لك في الكلام على دار الحرب وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال ما لم يؤمن من المسلمين وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام في دار الحرب وغيرها وإن

كانت الفائدة هي ما تقدم من كونهم يملكون علينا ما دخل دراهم قهرا فقد أوضحنا لك هنالك أنهم لا يملكون علينا شيئا وإن كانت الفائدة وجوب الهجرة عن دار الكفر فليس هذا الوجوب مختصا بدار الكفر بل هو شريعة قائمة وسنة ثابتة عند استعلان المنكر وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وجود من يأخذ على أيدي المنتهكين لمحارم الله فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بدينه إن تمكن من ذلك ووجد أرضا خالية عن التظاهر لمعاصي الله وعدم التناكر على فاعلها فإن لم يجد فليس في الإمكان أحسن مما كان وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه كما أرشد إلى ذلك الصادق المصدوق فيما صح عنه وإذا قدر على أن يغلق على نفسه بابه ويضرب بينه وبين العصاة حجابه كان ذلك من أقل ما يجب عليه وقد أوضحت أمر الهجرة وما هو باق منها وما قد نسخ في شرحي للمنتقى فليرجع إليه"اهـ.

ثالثا: قوله: "**وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام** ...إلخ".

نقوله: بما في ذلك مكة؟!!، فجوابهم نعم!، قال أبو محمد المقدسي في وقفات مع ثمرات الجهاد (ص:٨٦): "الدنيا كلها اليوم دار كفر، والمسلمون فيها مستضعفون وديارهم كلها مسلوبة محتلة مغتصبة إما من كفار خارجيين أو من كفار داخليين موالين للكفار الخارجيين ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة"اهـ.

وقد كتب في ذلك أبو أسامة الغريب –وهو منهم– رسالة بعنوان "هل مكة دار كفر" يرد فيها على مرجئة العصر –بزعمه– الذين يقولون: إن مكة دار إسلام وليست بدار كفر، وذكر أن القول بأنها دار كفر قول علمائهم!.

وقال أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: "وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم"، : "فيا أيها الأسود في الأنبار ونينوي وصلاح الدين وكركوك وديالى وبغداد والجنوب:

واصلوا زحفكم، وأعيدوا رسم الخارطة، فإنكم اليوم بتّم أمل المستضعفين في كل مكان، وإن الأسارى ينتظرونكم في بغداد وورومية وحلب والحائر وأبي زعبل، **وإن لكم**

موعدًا في بغداد ودمشق والقدس ومكة والمدينة، إن لكم موعدًا في دابق والغوطة وروما إن شاء الله"اهـــ.

ويقول أيضا في كلمة بعنوان: "ما كان هذا منهجنا ولن يكون": "عازمين على تحكيم شرع الله، أجسادهم في العراق، وأرواحهم في **مكة الأسيرة**، وأفئدتهم في بيت المقدس، وعيونهم على روما"اهـــ.

فهذا المقدسي يصرح بأن مكة دار كفر، والعدناني يصفها بالأسيرة!، أي أسرها الكفار فهي دار كفر!!، ويعد جنوده بغزوها!، وهذا من عظيم جهلهم!، فإنه كما سبق ديار الكفر هي ديار حرب ومكة لا يجوز أن تكون دار حرب بعد فتحها إلى يوم القيامة فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة: "**لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم، فانفروا، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها**" متفق عليه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام (٢/ ٦٣): "وفي ضمن الحديث: الإخبار بأن **مكة تصير دار إسلام أبدا**".

وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٤/ ٥٠٤): "قال الطبريّ: فيه الإبانة عن أن مكة غير جائز استحلالها، ولا نصب الحرب عليها لقتال بعد ما حرمها رسول الله – صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وذلك أنه عليه السلام أخبر حين فرغ من أمر المشركين بها أنها لله حرم، وأنها لم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده بعد تلك الساعة التي حارب فيها المشركين، وأنها قد عادت حرمتها كما كانت، فكان معلوم بقوله هذا أنها لا تحل لأحد بعده بالمعنى الذى أحلت له به، وذلك محاربة أهلها وقتالهم وردهم عن دينهم.

إن قال قائل: قد رأينا الحَجَّاج وغيره قاتل مكة ونصب الحرب عليها، وأن القرمطي الكافر قلع الحجر الأسود منها وأمسكه سبعة عشر عامًا، فما وجه ذلك؟ قيل له: معناه

بَيِّن بحمد الله، وذلك أن الحَجَّاج وكل من نصب الحرب عليها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك مباحًا ولا حلالا كما حل للنبي عليه السلام وليس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "وقد عادت حرمتها كما كانت، ولا يحل القتال بها لأحد بعدى". أن هذا لا يقع ولا يكون، وقد يَرِدُ ذلك، وقد أنذرنا عليه السلام أن ذا السويقين من الحبشة يهدم الكعبة حَجَرًا حَجَرًا، وإنما معناه أن قتالها ونصب الحرب عليها حرام بعد النبي صلى الله عليه وسلم على كل أحد إلى يوم القيامة، وأن من استباح ذلك فقد ركب ذنبًا عظيمًا، واستحل محرمًا شنيعًا"اهـــ.

وفي حديث أصرح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تغزى هذه (يعني: مكة) بعد اليوم إلى يوم القيامة**" أخرجه الترمذي (١٦١١) وغيره، وقال الترمذيّ: حسن صحيح ولابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٦٨) بلفظ:"**لا تغزا مكة بعد هذا العام أبدا**" يعني عام الفتح"، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٤٢٧).

قال ابن كثير –رحمه الله– في البداية والنهاية ط/ هجر (٦/ ٥٨٢): "فإن كان نهيا، فلا إشكال، وإن كان نفيا، فقال البيهقي: معناه على كفر أهلها".

وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ١٦٢): "قال: سفيان تفسيره أنهم لا يكفرون أبدا، ولا يغزون على الكفر قال أبو جعفر: وكذلك معنى لا يقتل قرشيّ بعد العام صبرًا إنما يراد به هذا المعنى أنهم لا يعودون كفارًا يغزون حتى يقتلوا على الكفر **كما لا تعود مكة دار كفر تغزى عليه** وبالله عز وجل التوفيق".

وأمام الحديث "**لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت، حتى يخسف بجيش منهم**" أخرجه النسائيّ (٢ / ٣٢) والحاكم (٤ / ٤٣٠)، وصححه الألبانيّ في الصحيحة (٥/ ٥٥٩)، ثم قال: "اعلم أنه لا منافاة بين هذا الحديث والحديث المتقدم (٢٤٢٧) : "**لا تغزى مكة بعد إلى يوم القيامة**" لأن المثبت من الغزو في هذا غير المنفي في ذاك، ألا ترى إلى تفسير سفيان إياه بقوله: "إنهم لا يكفرون أبدا ولا يغزون على الكفر". ويؤيده قوله في هذا الحديث: "يخسف بجيش منهم". **فهو صريح في أن هذا الجيش من الكفار، أو البغاة،** وإن كان فيهم مؤمنون مكرهون، فهم يؤمّون البيت ليغزوا من فيه من المسلمين، فلا تعارض، والحمد لله" اهـــ.

رابعا: قوله : "**فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبيّ**".

نقول: يؤكد ذلك أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ للخوارج "داعش" حيث يقول: "إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين **هي بعمومها جيوش ردة وكفر!!** وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردتها وخروجها من الدين بل **ووجوب قتالها وفي مقدمتها الجيش المصري** له القول الذي لا يصح في دين الله خلافه وهو الذي تشهد له الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وكلام العلماء الأفذاذ الفحول المعتبرين، وليس هو قطعاً من أقوال أهل الغلو والتكفير بغير وجه حق"!! من كلمة له بعنوان "السلمية دين من ؟!".

فتأمل -رحمك الله- في جرأة هؤلاء أحداث الأسنان سفهاء الأحلام!؛ كيف يكفرون الحكام والجيوش بغير مكفر!، ثم يستحلون منهم ما يستحلون من الكفار، بل هم عندهم أشد من اليهود والنصارى! وقتالهم أوجب من قتال اليهود والنصار، فإنهم كفروا المسلمين الذين لم يكفرهم الله و لم يكفرهم رسوله، وزعموا أنهم مرتدون ثم بنوا على ذلك أن قتال المرتد أوجب من قتال الكافر الأصلي! وهذا ليصدق عليهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام**"!، ثم انظر إلى التناقض -الذي هو صفة لازمة لمن خالف منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم- فإنه أولا زعم أن الديار ديار كفر ولكن لا يلزم تكفير ساكنيها!، فلماذا كفرتم الحكام وجيوشهم الآن؟ أليسوا من ساكنيها؟! ثم أين استيفاء الشروط وانتفاء الموانع التي تحدثتم عنها في رابعا!، وأين إقامة الحجة التي كنتم تتحدثون عنها في سابعا؟!، فإن قالوا: نحن نفرق بين الرؤوس وغيرها!، قلنا: من أين لكم هذا التفريق؟ وقد سبق الرد عليه، ثم أين هذا وأنتم تكفرون الجيوش قادتها وجنودها! بل أكثر الجيش جنود وليس قادة! كما هو معلوم، فانظر أيها القارئ الفطن إلى تناقض هؤلاء وهو كما سبق وصف لازم لكل من خالف منهاج النبوة، فإن وحي الله لا يتناقض كتابا ولا سنة، ومن تمسك به، وسار على نهجه، و لم يصدر إلا عنه، و لم يقل إلا به؛ فكذلك لا يتناقض قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢.

يقول أبو عمر البغدادي:

الحاديَ عشرَ: نرى وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهما من مسميات كحماية المنشئات النفطية وغيرها، ونرى وجوب هدم وإزالة أي مبنى أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقرًا له.

تعليق:

نقول: قال العدنانيّ في "السلمية دين من؟!: "ثالثًا: لابد لنا أن نصدع بحقيقة مرة لطالما كتمها العلماء واكتفى بالتلميح لها الفقهاء؛ ألا وهي: كفر الجيوش الحامية لأنظمة الطواغيت، وفي مقدمتها الجيش المصريّ، والجيش الليبيّ، والجيش التونسيّ، قبل الثورة وبعدها وهذا الجيش السوريّ قد بات كفره واضحًا حتى عند العجائز"أ.هـ.

وانظر إلى غمزهم ولمزهم في العلماء والفقهاء هربا من أن يرد عليهم كلامهم بأنهم أول من ابتدعوا الكلام به، إذ لا سلف لهم فيما ذكروه –إلا الخوارج–، ولذلك فإنهم بدلا من أن يكونوا تبعا لمن سبق من العلماء والفقهاء فيما حرروه من المسائل والأقوال، ابتدعوا هذا القول ثم طعنوا في العلماء، وصدق من قال: لا يخرجون على الأمراء إلا بعد أن يخرجوا على العلماء!

يقول أبو عمر البغدادي:

الثاني عشر: نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام[٥٩] اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمن والأمان فعليهم أن يُحدثوا عهدًا جديدًا مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها.

تعليق:

نقول: إن الناظر في الشروط العمرية وما ورد فيها من إلزامات لا سيما مع علمه بأن الذي كتب هذه الشروط وفرضها هم أهل الكتاب أنفسهم على أنفسهم ذلا وضعفا وانكسارا بين يدي عزة المسلمين وقوتهم؛ فالنظر فيها يحزن أشد الحزن على ما أصاب الأمة في هذا الزمان بسبب ذنوبهم ومخالفاتهم وبدعهم وإحداثهم في دين ربهم، ومن أعظم هذه المخالفات والبدع؛ بدعة الخوارج، ولا بد أن يعلم أن الشروط العمرية —مع ما كان من كلام في سندها– فإننا لا نردها لا سيما وقد تلقاها العلماء بالقبول، ولكن لابد من اعتبار الحالة التي فرضت فيها هذه الشروط، أي: حال القوة والتمكين، كما يظهر ذلك من عدة أوجه منها: أن أهل الكتاب هم الذين فرضوا ذلك على أنفسهم وكذلك ما في الشروط نفسها من بيان ذلهم وانكسارهم، وهذا في نفسه دال على قوة المسلمين حينئذ وعزتهم، وانظر نصها في: أحكام أهل الذمة لابن القيم -رحمه الله- (٣/ ١١٥٩).

ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يشترطها —حتى بعد نزول آية السيف!– لذلك عدَّها الجمهور من الاجتهاد الذي يرجع فيه إلى الإمام، وما يراه من حال المسلمين قوة وضعفا لا سيما وهي ليست من اشتراط عمر، وإنما هي من إقراره على ما اشترطه أهل الكتاب على أنفسهم.

---

٥٩ هذا تناقض عجيب؛ إذ ماذا يريد بدولة الإسلام؟!؛ المتبادر إلى الأذهان أنها دولته المزعومة! فما الذي يمنعهم أن يكونوا أهل ذمة؛ وإن كان يريد بلاد المسلمين فهذا تناقض أيضًا لأن الديار عندهم جميعًا ديار كفر!

ولذلك فالشيء بالشيء يذكر فهناك ما يعرف بالعهدة العمرية لأهل إيلياء وليس فيها هذه الشروط إلا شرط الجزية فقط وهو ما ورد في الكتاب والسنة، وكل ذلك يؤكد على أن هذه الشروط ترجع إلى ولي الأمر اجتهادًا.

فإن لم يرضوا بذلك فعلى الأقل هؤلاء أهل عهد مع ولاة الأمر لا يجوز خفر عهدهم "فمن قتل معاهدًا في عهده، لم يرح رائحة الجنة" الحديث؛ فإن قالوا: هؤلاء ليسوا حكاما مسلمين بل هم كفار مشركون عدنا حينئذ لأصلهم- التكفير بالحكم- الذي ترجع إليه سائر بدعهم؛ ولو سلمنا أنهم أهل حرب فقد مضى بيان مراحل الجهاد وأحوال المسلمين معها واعتبار المصالح والمفاسد من قوة المسلمين وضعفهم؛ واذكر هاهنا (كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وموادعة يهود) وفيه:

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بخليفة.

٦- وإن النصر للمظلوم.

٧- وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨- وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١١- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.... على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم." الرحيق المختوم (ص: ١٧٣) وانظر سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٠١).

يقول أبو عمر البغدادي:

الثالثَ عشرَ: نرى أن أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين، ولا نرميهم بكفر ولا فجور إلا أنهم عصاة لتخلفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة.

تعليق:

أولا: قوله: "**نرى أن أبناء الجماعات الجهادية...إلى إخوة لنا**".

نقول: وهذا إقرار ودعوة إلى غير ما أنزل الله!! فهل في كتاب الله وسنة رسول الله إقرار لتعدد الجماعات!، أم أن كل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله فيما يتعلق بهذا الأمر ليس فيه إلا الذم والتوبيخ لمن فرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب، ليس فيه إلا الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة، والنهي عن الفرقة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩، وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣١ - ٣٢، وفي صحيح مسلم، برقم: (١٧١٥) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**"، وانظر في هذه المسألة كتاب العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله- "جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات" تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله-.

ثانيا: قوله: "**ولا نرميهم بكفر ولا فجور**".

وقال أبو محمد العدناني: " ومن أعظم وأقبح ما يُفتَرى علينا ونُتَّهَمُ به: أن الدولة تجبر الناس على بيعتها، وتزعم أنها حصراً للطائفة المنصورة، والأقبح من ذلك: أنها تعتبر من يخالفها الرأيَ مِنَ الجماعاتِ وَالفصائلِ أو مَن يأبى مبايعتَها أو لا يرى المصلحة في وجودها: أنه أصبحَ مِنَ الأعداءِ ومن الصحوات ... حلالَ الدم، ولا بد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات، نعوذ بالله من هذه الافتراءات!، أو أن نعادي أية جماعة أو فئة أو كتيبة: لمجرد أنها تخالفنا الرأي، أو لمجرد أنها تأبى مبايعة الدولة ... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة: هي نصرة المظلومين، ودفع العدو الصائل، والكف عمن كف عنها"[٦٠].

نقول: يكفي في بيان كذب ذلك –مع ما مر من بيان ضلاله- أن ترى هذا التناحر بينهم والخلاف الحاصل في أوساطهم مع القاعدة والنصرة، فقد قارب الأمر الرميَ بالكفر، فضلا عما حصل من استحلال للدماء من أبناء جلدتهم ومنهجهم وما ذلك إلا لأنهم ليسوا تحت رايتهم!!!.

ثالثا: قوله: "**لتخلفهم عن واجب العصر ...إلخ**".

نقوله: رحم الله هذا المصطلح المظلوم الذي يزعمه كل واحد منهم على حسب هواه؛ فمرة يكون واجب العصر الجهاد، ومرة يكون الاجتماع تحت راية واحدة!، ومرة يكون البيعة لخليفة المسلمين! ومرة ومرة!، والحق أن واجب العصر وكل عصر وكل زمان وكل مكان، هو التوحيد والدعوة إليه وإلى تصحيحه عند المسلمين ممن جهلوه أو نقضوه، وكذلك كان واجب عصر الأنبياء من قبل، ولذلك فواجب عصر كل وارثي الأنبياء وأتباعهم من بعد؛ هو الدعوة إلى التوحيد والمنهج السديد وتصحيح المعتقد عند المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

٦٠ كلمة بعنوان: "لن يضروكم إلا أذى".

فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، وأما الاجتماع فإنه لا يحمد إلا ما كان على منهاج النبوة وهو اجتماع القلوب على المعتقد الصحيح، وما يغني اجتماع الأبدان والقلوب متنافرة! والعقائد متناحرة! فالاجتماع الحقيقي هو اجتماع القلوب لا الابدان قال تعالى: ﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ الحشر: ١٤، فلو كانوا يعقلون لعملوا على استئصال الخلاف من جذوره، لا مجرد التظاهر بالاجتماع!، ولذلك فإن الله رب العالمين ألف بين قلوب الصحابة لما اجتمعوا على عقيدة واحدة وهي ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ الأنفال: ٦٢ – ٦٣ فليت قومي يعلمون!.

وأما ما يقع اليوم من تناحر وتباغض بل وتقاتل بين أبناء هذه الجماعات فإنما هو مصداق ما نقول من أنه لا توحيد للكلمة إلا بكلمة التوحيد، إلا بالسير على المنهج السديد، إلا بالإرشاد إلى الاعتقاد الرشيد.

يقول أبو عمر البغدادي:

الرابع عشر: كل جماعة أو شخص يعقد اتفاقية مع المحتل الغازي فإنها لا تلزمنا في شيء بل هي باطلة مردودة، وعليه نحذر المحتل من عقد أي اتفاقات سرية أو علنية بغير إذن دولة الإسلام.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: "**فإنها لا تلزمنا في شيء بل هي باطلة مردودة**".

نقول: أخرج الإمام البخاريّ –رحمه الله– في صحيحه برقم: (٣١٧٩)، عن علي رضي الله عنه، قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وما في هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... **وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل**...".

قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري (٥/٣٥٠): "وقال ابن المنذر في قوله صلى الله عليه وسلم: "**يسعى بها أدناهم**" قال: الذمة: الأمان، يقول: إن كل من أمّن أحدًا من الحربيين جاز أمانه على جميع المسلمين دَنِيًا كان أو شريفًا، حرا كان أو عبدًا، رجلا أو امرأة، وليس لهم أن يخفروه. واتفق مالك والثوري والأوزاعي والليث والشافعيّ وأبو ثور على جواز أمان العبد قاتل أو لم يقاتل، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: "**يسعى بها أدناهم**"... قال المهلب: وقوله: "**فمن اخفر مسلمًا**" يعنى: فيمن أجاره فعليه لعنة الله والملائكة. وهذا اللعن وسائر لعن المسلمين إنما هو متوجه إلى الإغلاظ والترهيب لهم عن المعاصي، والإيعاد لهم من قبل مواقعتها، فإذا وقعوا فيها دعي لهم بالتوبة، يبين هذا حديث النعمان. وقوله: "**لا يقبل منه صرف ولا عدل**" يعنى: في هذه الجناية أي: لا كفارة لها؛ لأنه لم يشرع فيها كفارة فهي إلى أمر الله إن شاء عذب فيها وإن شاء غفرها على مذهب أهل السنة في الوعيد" اهـــ.

قال النووي في شرحه على مسلم (٩/ ١٤٤): "المراد بالذمة هنا الأمان معناه أن أمان المسلمين للكافر صحيح فإذا أمنه به أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم وللأمان شروط معروفة... قوله صلى الله عليه وسلم "**فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله**" معناه من نقض أمان مسلم فتعرض لكافر أمنه مسلم قال أهل اللغة: يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته إذا أمنته".

وفي فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٧٤): "ودخل في قوله: "**أدناهم**" أي: أقلهم؛ كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى "ا.هـ .بل ولو أجارت امرأة كما في الصحيحين أن أم هانئ أجارت رجلا مشركًا؛ سفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ...**"

فتأمل رحمك الله في هذا الوعيد الشديد في من نقض عهود المسلمين على أي حال كان هذا المسلم! فهذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شرح العلماء له، فعلى أي أساس لا تلزمهم هذه العهود والاتفاقيات؟ هل هذا من الحكم بما أنزل الله هل هذا من التحاكم إلى شرع الله؟ هل هذا هو التسليم لحكم رسول الله؟!

ثانيا: قوله: "**بغير إذن دولة الإسلام**".

نقول: لازال الشعور بالنقص يراودهم!؛ يريدون أن يكونوا شيئا مذكورًا!؛حسنًا؛ فليكن؛ ولكن ألم تكفروا حكام المسلمين بالمعاهدات والاتفاقات مع الكافرين؛ فلمَ تطلبوه لأنفسكم اليوم، ومع من ؟مع المحتل! أنسيتم قول إمام من أئمتكم –أئمة الخوارج- وهو عبد الله عزام في رسالته" الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان" والتي قدم لها جملة من رجال الخوارج؛ يقول: "لا يجوز أن لا[كذا والصواب بدون :لا] تتضمن المعاهدة شرطا فيه اعتراف أو إقرار الكفار بشبر من أراضي المسلمين...وإذا تعين الجهاد بطل الصلح كما إذا دخل العدو أرض المسلمين أو كان طالبا لهم، ...وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالبا على المسلمين، وكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه

الاستنقاذ."ا.هـ، ولا تنسوا هذا أهم فروض الأعيان! عندكم؛ فما حكمكم الآن بناء على أصولكم؟.

يقول أبو عمر البغدادي:

الخامسَ عشرَ: نرى وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذبُّ عنهم ونَصدر عنهم في النوازل والملمّات، ونُعري من سار على نهج الطاغوت أو داهنه في شيء من دين الله.

تعليق:

نقول:

أولا: قوله: "**نرى وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذبُّ عنهم ونَصدر عنهم في النوازل والملمّات**".

نقول: لقد ثبت بكل ما مضى أن هؤلاء قرن من قرون الخوارج ومعلوم أن الخوارج ليس فيهم عالم بل الصفة العامة الجامعة لهؤلاء الخوارج في كل زمان ومكان؛ هي: الجهل، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس يناظرهم قال لهم: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين أنزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم وليس فيكم منهم أحد" أي: ليس فيكم عالم، لذلك تتخبطون وتنحرفون وتفشلون، وهذا ما اعترف به رجل من رجالات هؤلاء الخوارج وهو أبو مصعب السوري في كتابه "دعوة المقاومة" فاستمع إليه يقول في ص: ٨٥٨، وهو يعد الأخطاء والإشكاليات والمعوقات لما أسماه بالتيار الجهادي فقال: "١- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التربية والفتوى و الكتابة والتوجيه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالاسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو عالم.. فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢-انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات. حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

٣-انخفاض مستويات التربية العبادية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهاد من الشباب. وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التجمعات الجهادية...

٤-تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية. فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع ، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

٥-اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحض. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية...

٦-بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة، ... إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، **أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها**. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة...".

وقال أيضا في "دعوة المقاومة" ص:٨٠٣، : "حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة".

وقال أيضا وهو يعد مسالب تياره الجهادي في "دعوة المقاومة" ص: ٨٤١، : "مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي

والفقهي السياسي الشرعي . و جعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت **مع توافر عوامل الجهل** والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين **متكأً لأفكار "تكفيرية"**... مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقاً".

ومما ذكر في كتابه هذا من ملاحظات حول تياره، ص: ٨٤٧، : "وقد لاحظت...، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه... وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات. وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات".

وقال أيضا في ص: ٨٤٩، : "ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً، وضيق مجالات الشورى و الاستفادة من الكوادر...وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية"

وقال في "مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر" ص:٧١، : "أثبتت لي التجربة الجزائرية كما غيرها. أن الثغرة الكبرى في التجارب الجهادية كلها بلا استثناء، وهي في التجربة الجزائرية أشد أثرا وفظاعة. هذه الثغرة هي غياب العلماء وكبار الدعاة عن قيادة تلك التجارب الجهادية، وعدم دعمها والانخراط فيها... ولقد أدى غياب هؤلاء العقلاء وأصحاب العلم والتجربة والخبرة عن ريادة التجارب، إلى ضعف التربية وتيه القرارات لدى الشباب، وتخبطهم وارتكابهم للأخطاء".

ومما ذكر أبو مصعب السوري في كتابه "دعوة المقاومة" ص: ٧٤١، : "ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز(سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجهاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر ، فرج الله عنه"اهـ وقد أثنى عليه في عدة مواضع من كتابه هذا، ومع ذلك فهذا سيد إمام وهو رجل من كبارهم بشهادة مؤرخهم؛ فانظر إلى حكم هذا الكبير على أمراء القاعدة حيث قال في كتابه "التعرية

لكتاب التبرئة" ص: ١٤، : "يا معشر المسلمين هذه كلها خيارات مشروعة، والاختيار منها بحسب العلم والقدرة، **وابن لادن والظواهري ليسا من أهل العلم والفتوى ولا من أهل التقوى،** الذي يتقي الله لا يتسلق الجدران كاللصوص كي يصل إلى هدفه فيخون أميره ويغدر بعدوه ويجلب الكوارث على المسلمين، من فعل ذلك ـــ كهؤلاء ـــ لا يكون من أهل البر والتقوى، وهذا حكم ربنا فيهم لمن كان مؤمنًا به. وأنا أعرفهم من عشرات السنين، فلا تغتروا بكلامهم وشبهاتهم. هل يفهمان في الفقه والجهاد مثل عُمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما؟ لا تدعوهم يستخفون بعقولكم. إنهم جُهال يستغلون العاطفة الإسلامية لدى الشباب مع قلة إلمامهم بالعلوم الشرعية، ولهذا تجد الظواهري من أشد الناس كراهية للكلام في الشروط والموانع وإظهارها للناس، مع أنها من أركان الحكم الشرعي كما في قاعدة (يترتب الحكم على السبب إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع)، إلا أن الظواهري لا يريد أن يعرف الشباب هذه العلوم الشرعية ليسهل عليه اصطيادهم وتحريضهم بخطبه الحماسية".

وقال في ص: ٤٥، : "يا معشر المسلمين نحن أمام طائفة من الجهال (بن لادن والظواهري وأتباعهما) حملهم جهلهم على ابتداع مذهبٍ إجرامي يبرر القتل بالجملة، ويريدون فرضه على المسلمين ويهاجمون من ينتقدهم بأنه يخدم (الحملة الصليبية الصهيونية على الأمة الإسلامية). ولقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على أن الجهل بالدين من أعظم أسباب كثرة القتل وهذا هو ما يحدث في هذا الزمان، ويؤصل له الظواهري".

وقال في ص: ٥٢، : "إذا كان من المسلمين من يُفتتن بابن لادن والظواهري وبأمثالهما وتخفى عليهم جهالاتهما، فكيف سيثبت هؤلاء لفتنة المسيح الدجال".

وقال في ص: ٥٥، : "وقد رأيت في هذا الزمان ومن قبله أن بعض الجهال بالدين كابن لادن والظواهري قد فرضوا أنفسهم موجهين ومعلمين للمسلمين، وهم ليسوا أهلاً لذلك، ويكفيك فيهم ما ذكرته في هذه المذكرة خاصة في الفصل الثاني منها، فأردت أن أحذرك منهم هنا".

وقال في ص: ٥٣، : "ثم ما جهاد ابن لادن؟ والله يا معشر المسلمين لقد انسحب من كل المعارك التي خاضها وأصحابه وحدهم بدون دعم من الأفغان أمام الشيوعيين بعد

سقوط عشرات القتلى من الإخوة العرب، وكاد ابن لادن نفسه أن يقع أسيرًا في إحدى المعارك. ولا تصدقوا من يقول إن العرب كان لهم أي دور عسكري مؤثر في الجهاد الأفغاني ضد الروس، هذه أكذوبة.

وما علم ابن لادن؟ في عام ١٩٩٤ بالسودان **كان هناك موضوع محل اهتمام ابن لادن، فأرشدته إلى قراءة كتاب معين فيه، فقال لي (إنه لا يطيق أن يكمل قراءة كتاب). أما خطبه فأتباعه يكتبونها له**".

وقال في ص: ٨، : "وقبل تعرية مغالطات الظواهري الفقهية، أحب أن أنبه القارئ إلى أن الأمر ليس مجرد رجل أخطأ في بعض المسائل الفقهية وإنما نحن أمام تأسيس مذهب فاسد منحرف لتأصيل الإسراف في سفك الدماء، وسوف أذكر كيف نشأ هذا المذهب، وما هي أركانه مع الرد عليها إن شاء الله، وهذا المذهب الفاسد هو ما يطلق عليه البعض: فكر القاعدة".

وقال في ص: ٢١، : "وقارن ذلك بقول الظواهري إن اللفظ المذكور في الموسوعة لا ينص على أن التأشيرة أمان، لتعرف مبلغ الرجل من العلم وكيف حَمَله جهله بالشريعة على معارضة أحكامها المستقرة لتبرير غدر شيخه ابن لادن رغم عدم ثقته به حتى أنه لم يخبره بعمليات الغدر (٩/١١) قبل وقوعها".

وقال في ص:١٣، : "والظواهري بحصره الخيارات المشروعة للمسلمين مع أعدائهم في خيار واحد وهو استعمال القوة لا غير، هو كالطبيب الجاهل الذي لا يعرف من العلاجات إلا دواءً واحدًا يصفه لجميع المرضى من دون مراعاة لاختلاف أحوالهم، فلا بد من سقوط كثير من الضحايا بين يديه، فإذا رأى هذا الطبيب الجاهل طبيبًا آخر يصف أدوية مختلفة بحسب اختلاف حالات المرضى شنّع عليه بجهله واتهمه بأنه يروج أدوية أميركية من إنتاج المخابرات الأميركية".

نقول: ونحن لسنا في حاجة إلى كلام هؤلاء الخوارج وحكمهم واعترافهم بأنهم جهال ليس فيهم علماء، فيكفينا ما نعلمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوصاف هؤلاء

الخوارج، وما قاله الصحابة وعلماء الأمة سلفا وخلفا، ولكن هذا من باب ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ يوسف: ٢٦.

ثانيا: قوله: "**ونعري من سار على نهج الطاغوت...إلخ**".

نقول: يقصدون بهذا الغمز واللمز علماء أهل السنة والجماعة؛ وهذا يذكرنا بالخوارج الأول يكفرون الصحابة أهل العلم والدين ويوالون الجهلة الطغام، ومع ما مضى من اعترافات من مؤرخهم السوري فانظر إلى طعنهم في العلماء وخروجهم عليهم وصدق من قال: لا يخرجون على الأمراء إلا بعد الخروج على العلماء!! وإليك مصداقه من كلام أبي مصعب السوري في كتاب "دعوة المقاومة" ص:٦٣٧، "كانت المشكلة أن تلك الصحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدينية الرسمية وتخرجت على علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدينية تلك **وعلى رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورا مشينا** إلى جانب الحملات الغازية والحكومات العميلة القائمة في السعودية وغيرها. حتى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المجاهدين والدعاة في السعودية ذاتها، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة"اهـ.

وقال كلاما كثيرا من هذا القبيل في كتابه هذا!، وفي غيره مما نقله عن شيخهم الجاهل بن لادن في كتاب سماه "شهادة قادة المجاهدين ... على علماء السلطان في بلادهم المسماة (سعودية)" وذكر فيه جملة من السب والشتم والطعن مما لا نحتمل سرده حفظا لجناب هؤلاء العلماء الأكابر الذين بذلوا حياتهم في خدمة دين الله والجهاد في سبيله؛ جهاد الحجة والبيان، وهو أعظم الجهاد كما قال ابن القيم –رحمه الله–، فانظر كم استفادة الأمة في معرفة دينها وعقيدتها وما نشر من دعوة التوحيد وبيان المنهج السديد على يد أولئك العلماء الكبار العظام، ومع ذلك يأتي أمثال هؤلاء الصغار الضلال حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام ويطعنون فيهم وفي دينهم وإخلاصهم، فماذا قدم هؤلاء الضلال للإسلام

والمسلمين إلا سفك الدماء وانتهاك الحرمات والأعراض، وتهييج الكافرين على المسلمين فبطشوا وأسروا وقتلوا الشيوخ والولدان واستحيوا النساء، بسبب حماقات من هؤلاء زعموا أنها جهادا في سبيل الله، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا: إن كان هذا جهاد فهو في سبيل الشيطان الذي يؤزهم، فهو في سبيل البدعة التي تسيرهم والله المستعان.

ولقد استمر هذا الخارجي في سلسلة الطعن والغمز واللمز والنبذ بالألقاب القبيحة للعلماء الذين كشفوا خارجيتهم وبينوا بدعتهم فيقول في ص:٧١٨، "جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين. ويدعوا إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية)..."اهـ نقول: جزاهم الله خيرا لدعوتهم إلى نبذ فكر الخوارج، ودعوتهم إلى انتهاج نهج أهل السنة والجماعة!.

ويقول هذا الخارجي في ص:٧٦٨، "السلفيون: والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية"اهـ.

ونقول: هذا لتعلم حقيقة هذا اللقب الذي رمي به أهل السنة وهي سنة أسلفهم من أهل البدع من رمي أهل السنة بالألقاب القبيحة، قال أبو عثمان الصابوني –رحمه الله– في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث" ص١٠١، : "رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلا من الله ومنة، سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله؛ فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحرا وبعضهم كاهنا، وبعضهم شاعرا، وبعضهم مجنونا، وبعضهم مفتونا وبعضهم مفتريا مختلفا كذابا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بريئا... وكذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب بريئة زكية

نقية"اهــ، ونقول: سمانا بعضهم وهابية، وبعضهم جامية، وبعضهم مدخلية، ولا يلحقنا بإذن الله إلا أصحاب الحديث أهل السنة رغم آنف أهل البدع.

ولم يتوقف الأمر عند هذا المؤرخ لهؤلاء الخوارج، بل هذا أبو بكر البغداديّ رأس خوارج داعش الآن يقول في كلمة بعنوان "ولو كره الكافرون" عن العلماء بأنهم "سحرة مجرمون" وأنهم "علماء الطواغيت"، و"علماء السلاطين"، وأن فتاويهم "صادرة عن اليهود، ومعممة من الصليبيين". **وذلك حين وصفهم العلماء الربانيون في المملكة وغيرها بأنهم "خوارج مفسدون"**، ومن العجب -ولا عجب- أن إخوانهم من الخوارج كأبي محمد المقدسيّ وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم من كبار منظري التكفير يصمونهم –أي: داعش- بأنهم "خوارج مفسدون"! كما سيأتي – إن شاء الله- فهل أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني من علماء السلاطين أيضا عندكم؟!!.

يقول أبو عمر البغدادي:

السادسَ عشرَ: نعرف لمن سبقنا بالجهاد حقّه، وننزله منزلته، ونخلفه بخير في أهله وماله.

السابعَ عشرَ: نرى وجوب إنقاذ أسرى وحريم المسلمين من أيدي الكافرين بالغزو أو الفداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فكوا العاني" كما نرى وجوب كفالة أسرهم وأسر الشهداء، قال عليه الصلاة والسلام: "من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا".

الثامنَ عشرَ: نرى وجوب تعلم الأمة أمور دينها وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا، ونوجب من العلم الدنيويّ ما احتاجت إليه الأمة، وما سوى ذلك فهو مباح ما لم يخرج عن ضوابط الشرع الحنيف.

التاسعَ عشرَ: نرى تحريم كل ما يدعو إلى الفاحشة ويعين عليها كجهاز الستالايت ونوجب على المرأة وجوبًا شرعيًّا ستر وجهها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾النور: ١٩.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أخوكم أبو عمر الحسينيّ القُرشيّ البغداديّ" اهـــ.

نظرة عامة فيما سبق:

إن المتأمل فيما مضى ذكره من النشأة والأرض التي نبتت فيها "داعش"، والأفكار والمناهج التي كانت تسقي وتغذي هذه النبتة؛ يجد أن أصل الأصول عند هؤلاء القوم هو (الخلافة ومسألة الحكم)، المعروفة بينهم بـــ"الحاكمية" وأن جميع الحكام للبلاد العربية والمسلمة حكام كفرة، وأن الديار ديار كفر، بداية من المؤسسين كحسن البنا وسيد قطب، مرورا بالمنظرين كعبد الله عزام وأبي محمد المقدسيّ وأبي قتادة الفلسطينيّ وغيرهم، إلى الجنود المجاهدين –جهاد البدعة والضلالة– كأسامة بن لادن وأيمن الظواهريّ وأبي عمر البغداديّ المؤسس لتنظيم الدولة، ثم أبي بكر البغداديّ الأمير الحالي لها[٦١]، حتى قال أبو محمد العدنانيّ المتحدث الرسميّ باسمها قال: "تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله**، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم،...وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو **الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلّت سيوف الجهاد**"اهـــ، ومعلوم عند أصغر طلبة العلم، بل عند كثير من العوام أن أصل الأصول في منهاج النبوة والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل ونصبت سوق الجهاد هي عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦وقال عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣، وهذا هو منهاج النبوة، لا منهاج هؤلاء الخوارج!

[٦١] قال أبو بكر البغداديّ في كلمة بعنوان "رسالة إلى المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان": "لقد انكسر المسلمون بعد أن سقطت خلافتهم ثم زالت دولتهم، فاستطاع الكفر إذلال المسلمين وإضعافهم والسيطرة عليهم في كل مكان... وذلك عن طريق غزوهم واحتلالهم وتنصيب حكام عملاء خونة".

كما أننا نجد أن "داعش" و"جبهة النصرة" على منهج تنظيم القاعدة، وأنهما انبثقا منها، ثم هم جميعا –أعني: داعش والنصرة والقاعدة– على منهج وعقيدة وفكر حسن البنا وسيد قطب والمودودي[٦٢].

والملاحظ أيضا أن مقصد تحقيق الخلافة عند هؤلاء جميعا مقدم على مقصد تحقيق التوحيد!، بل الملاحظ أن التوحيد والدعوة إليه لم يمر ذكرهما أصلا! اللهم إلا أن التوحيد عندهم هو الحكم لله (توحيد الحاكمية)، وأن الشرك عندهم الحكم بغير ما أنزل الله! (شرك القصور) بزعمهم، فإذا علمت ذلك فلا تغفل عن أن مقصد الدعوة عند الأنبياء وفي منهاج النبوة هو تحقيق التوحيد وتعبيد الناس للعزيز المجيد فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فانتبه!![٦٣].

كذلك نجد أن الخلاف الحاصل بين "جبهة النصرة" و"داعش"، ليس خلافا عقديا ولا منهجيا، وإنما كل يرى أنه صاحب الولاية على أرض الشام!، وأنهما –على ما يقع بينهما من قتال– على منهج وعقيدة واحدة، فهما وجهان لمنهج واحد.

---

٦٢ يقول أبو مصعب السوري في دعوة المقاومة" ص: ٦٨٩، : "الجماعات الجهادية الحركية: ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الولاء و البراء و الحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، و الأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان".

٦٣ وانظر في ذلك الكتاب القيم للشيخ المجاهد بحق –جهاد الحجة والبيان–، ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" وقد قدم له فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله– وقال في هذه المقدمة: "من هؤلاء الذين بينوا ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو بعنوان : (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل) فقد بين– وفقه الله وجزاه خيراً– منهج الرسل في الدعوة إلى الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وعرض عليه منهج الجماعات المخالفة ليتضح الفرق بين منهج الرسل وتلك المناهج المختلفة والمخالفة لمنهج الرسل، وناقش تلك المناهج مناقشة علمية منصفة مع التعزيز بالأمثلة والشواهد، فجاء كتابه –والحمد لله– وافياً بالمقصود، كافياً لمن يريد الحق، وحجة على من عاند وكابر، فنسأل الله أن يثيبه على عمله، وينفع به وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه"اهـ.

قال أبو قتادة الفلسطيني الخارجي –هداه الله-: "وما فعلته جماعةُ (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد -أي جماعة القاعدة- إلى الدم الصريح وإعطاءِ هذا السفكِ للدم الحرام صفةَ الشرعيةِ حيث سنجد فقه (البغاة) كما **أعلن الجاهلُ المركبُ العدنانيُّ في بيانه هذا،** حيث حذَّر من شق عصا الطاعة، وأن حكمَها الدمُ والقتلُ، بل سنجدُ كلابَ أهلِ النار يكفرون المخالفَ لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعُهم القدماءُ وجماعةُ (الخلافة) ، وسيكونُ هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تَظهر رأسًا بل تتسللُ تباعًا كما رأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة، **إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة على الإمارة والقيادة ثم تحوَّل تباعًا إلى التكفير واستحلال الدماء،** ومن قرأ تاريخَ الجماعاتِ فلن يتعجبَ من تلبيس الأهواء أدلةَ الشرعِ والدين فهذا أسهلُ ما يأتيه هؤلاء"[٦٤].

وإذا علمنا ذلك فإن مما لا ينبغي الغفلة عنه: ما وقع بين هؤلاء من الاقتتال في الأشهر الحرم، التي حرم الله فيها جهاد الكفار –جهاد الطلب- وما وقع بينهما من اقتتال ليس جهادا للكافرين أصلا فضلا عن أن يكون جهاد دفع، وإنما هو قتال بين طائفتين من المسلمين فإن كلا من "داعش" و"جبهة النصرة" يصرحان بأنهما لا يكفر بعضهما بعضا، وعليه فالقتال الحاصل بينهما في الأشهر الحرم هو كبيرة من الكبائر، فهل تقوم الخلافة الراشدة على مخالفة ومعصية أمر الله رب العالمين؟!

ونقف هنا على أمر مهم جدا، وهو أنه إذا ثبت –وقد ثبت- أن داعش قد خرجت من رحم تنظيم القاعدة، فإننا نعلم بذلك أن أبا محمد العدناني المتحدث الرسمي الذي هو لسان تلك الدولة أو الخلافة، قد وقع في الكذب حين نفى تبعية تنظيم الدولة لتنظيم القاعدة!، وقد ثبت بكلامه هو وكلام غيره –كما مر- أن قادة تنظيم القاعدة هم قادتهم،

---

[٦٤] ثياب الخليفة ص٨.

وأن أمراء تنظيم القاعدة هم أمراؤهم، فيكون قد وقع في الكذب، والكذب من علامة النفاق!، ويهدي إلى الفجور! فكيف يكون لسان "الخلافة الراشدة" كذابا؟!

كذلك يلاحظ كثرة الخلاف بينهم والشقاق والانشقاق!، وما هو إلا نتاج مخالفة منهاج النبوة، ألم يقل جلا وعلا مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٣٧، فكل من خالف منهاج الرسول وأصحابه كانت ألفته الشقاق!، ومهما أظهروا الوفاق فما هم إلا في فراق!

وإذا تجاوزنا النشأة وصولا إلى العقيدة نلحظ أن أبا عمر البغدادي عبر عما قاله في بيان عقيدته بقوله: "فهذه بعض ثوابتنا" وعليه فكل ما قال وبيَّن هو من الثوابت والقواعد التي يقوم عليها بنيانهم ومنهاجهم، ومعلوم أن العقيدة لا يجوز ولا يقبل ولا يسوغ الخلاف فيها، وأن الخلاف فيها هو خلاف ضلال وهدى، فانتبه لذلك.

ومما يلاحظ أيضا أنه ساق هذه العقيدة وتلك الثوابت بثوب مجمل؛ فمثلا لم يفصل ما هي مظاهر الشرك؟، وما هي وسائله؟!، ومعلوم أن الإجمال لا يفي ولا يصلح في مثل هذه الأمور لا سيما أمور العقيدة!، إذ أكثر الناس يتفقون عند المجملات، وأما الخلاف فلا يأتي إلا عند التفصيل، وإلا فإن النصارى يتفقون معنا على تحريم مظاهر الشرك، ولكن ما هو الشرك؟ هل عبادة المسيح الذي في اعتقادهم ابن الله تعد شركا؟!، والصوفية من عباد القبور كذلك يفعلون، يحرمون الشرك، ولا يرون أن دعاء المقبورين والنذر والذبح لهم شركا...إلخ، ولكننا إذا رجعنا إلى الأب الروحيّ لتلك الجماعات، والمنظر لها وهو سيد قطب، وبيانه لحقيقة الشرك ومظاهره، وهو الحكم بغير ما أنزل الله!!، علمنا المقصود من كلام أبي عمر البغداديّ!.

كذلك نجد أن أول ما بدأ به أبو عمر البغداديّ عقيدته وثوابته هو: "وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله" ثم عقب ببيان كفر الروافض، ثم بيان كفر الساحر، وهذا وإن كان حقا، إلا أن عليه عدة ملاحظات:

الأولى: أنها وإن كانت كلمة حق في الظاهر، فإنها لا تكفي وحدها في التدليل على أن قائلها والمتكلم بها على الحق المبين، فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في شرار الخلق وهم الخوارج: "**يقولون من قول خير البرية**"، كذلك لما خرج هؤلاء الخوارج على عليٍّ رضي الله عنه وقالوا: "لا حكم إلا لله" قال علي رضي الله عنه: "كلمة حق أريد بها باطل".

الثانية: أنه لم يبدأ ببيان وجوب التوحيد وتفاصيل ذلك، فإن النهي عن الشرك لا يكفي في بيان دعوة التوحيد؛ إذ الأنبياء لم يأتوا إلى قومهم بقول: "لا تشركوا"، وإنما بقول: "اعبدوا الله مالكم من إله غيره" فمبنى دعوتهم على أصلين: التأصيل والتحذير، التأصيل للتوحيد، والتحذير من الشرك، ولذلك فإن كلمة التوحيد تقوم على ركني: النفي والإثبات، فلم تكن نفيا فقط ولا إثباتا فقط!، وهكذا في كل أمر من أمور هذا الدين فتأمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمَن نهى عن المنكر أو انتهى عنه ولم يأمر بالمعروف أو يأتمر به فمذموم مردود، وفي اتباع السنة والتحذير من البدعة، من حذَر البدعة وحذَّر منها، ولم يتبع السنة أو يدعو إليها فمذموم مردود، والشاهد أن الإنسان قد لا يكون مشركا، ومع ذلك لا يكون موحدا، وإنما يكون مثلا ملحدا كافرا، فالملحد وإن لم يكن مشركا مع الله! فإنه ليس بموحد لله ولا عابدا له، وإنما هو كافر به!.

الثالثة: أن أبا عمر البغداديّ لم يبين لنا عقيدته في الله وصفاته، لم يبين لنا عقيدته في القضاء والقدر، لم يبين لنا عقيدته في الشفاعة، لم يبين لنا عقيدته في الميزان، لم يبين لنا عقيدته في الغيبيات... إلخ ولا شك أنه في مقام بيان عقيدة الدولة الإسلامية أو الخلافة الراشدة التي يؤثمون من لم يدخل فيها لتخلفه عن واجب العصر -كما زعموا-، وإذا كان ذلك كذلك، فلابد لمن أرد أن يدخل في هذه الدولة أن يكون على بصيرة من أمره.

الرابعة: أنها عقيدة هدم لا بناء فيها[٦٥] ونذارة لا بشارة فيها، فبدأ بهدم مظاهر الشرك، كفر الروافض، كفر الساحر، كفر وردة من أمد المحتل ... إلخ فأين التأصيل

---

[٦٥] يقول سيد قطب في ظلال القرآن (٣/ ١٤٥١) : "غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب

والبناء، وهذا يبين لك المشرب والمنظار الذي ينظر منه هؤلاء! وإذا كانت هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، فإن منهاج النبوة يقوم على البشارة والنذارة كما قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٦٥، وهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وما قام فيها سنين عددا يدعو إلى التوحيد مبشرا ومنذرا، فإن كان الكفر قد عم على البشرية والجهل قد غلب على حال الناس فأين منهاج النبوة من الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم عشرين سنة حتى فتح مكة!.

وإذا أعدت النظر في عقيدة "داعش" وجدت أنهم يكفرون كل حكام بلاد المسلمين وأن جيوشها جيوش كفر وردة وأن قتالهم أوجب من قتال الصليبيين![٦٦]، وأن الديار تكون ديار كفر أو إسلام بحسب شرائعها وقوانينها!، وهذا لا شك امتداد لعقيدة سيد قطب التي سبق الإشارة إليها في النشأة، وتطبيق لما سبق ذكره من أن أصل الأصول عندهم هو مسألة الحكم، وهي أيضا سبب نشأة الخوارج والأصل المتفق عليه عندهم كما سيأتي –إن شاء الله–، ولكن تذكر ذلك جيدا فسنحتاج العودة إليه!.

كذلك تجد أنهم جعلوا الحكم بغير ما أنزل الله من نواقض الإسلام بإطلاق من غير تفصيل، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، وهذا عين ما فعلته الخوارج الأول كما سيأتي –إن شاء الله–.

إسلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر. بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة.. هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره..."

٦٦ حتى قال قائلهم فيما نشر عبر وسائل الإعلام تحت عنوان "صولة الأنصار" [والحق أنها صولة الفجار!] قال: "والطريق بدا واضحا بيِّن [كذا] أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من العملاء في مصر؛ جند السيسي عملاء اليهود"اهـ، وهذا على ما عرف بينهم بنظرية "العدو القريب قبل العدو البعيد"!!، ونحن نقول لقد بدا الطريق واضحا بيِّنًا أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من المعاصي والبدع والشرك!! نسأل الله أن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء وأن يوفق ولاة أمورها لما يحب ويرضى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ويلاحظ أن الاستدلال بالكتاب والسنة في بيان عقيدته قليل!، ومعلوم أن العقيدة ليس إلا كتاب وسنة!، وهو مع قلته في غير موطنه وبعيد عن فهم السلف، وما ذلك إلا لأن هؤلاء الخوارج لم يتربوا على التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة يحسبون القرآن لهم وهو عليهم!!.

والملاحظ أيضا فيما مر بيانه من نشأة وعقيدة "داعش": أنها مشتملة على إجمال وعلى حق وباطل واستدلال بعمومات الكتاب والسنة، وهذا لا يخوِّل ولا يعطي لها الحكم بالحقية المزعومة!، بل العكس بها أولى ولها ألزم، ومعلوم أن البدعة: إجمال مكون من حق وباطل! واستدلال بعمومات الكتاب والسنة، كما قال ابن القيم –رحمه الله-: "إن هؤلاء المعارضين للكتاب و السنة بعقلياتهم، التي هي في الحقيقة جهليات، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة، تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى، والإجمال في اللفظ يوجب تناولها بحق وباطل، فبما فيها من الحق يَقْبَلُ –مَن لم يُحِطْ بها علما– ما فيها من الباطل، لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء، وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا، وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلا محضا لَمَا قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقًّا محضًا لم تكن بدعة، وكانت موافقة للسنة، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٤٢. فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه، ولبسه به خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر، ومنه التلبيس، وهو التدليس والغش، الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذلك الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان: معنى صحيح، ومعنى باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح، ومراده الباطل، هذا من الإجمال في اللفظ.

وأما الاشتباه في المعنى فيكون له وجهان، هو حق من أحدهما، وباطل من الآخر، فيوهم إرادة الوجه الصحيح، ويكون مراده الباطل، فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة، والمعاني المشتبهة، ولا سيما إذا صادفت أذهانا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك

هوى وتعصب؟ فسل مثبت القلوب أن يثبت قلبك على دينه، وأن لا يوقعك في هذه الظلمات"[٦٧].

تنبيه مهم جدًّا:

لقد حاول أبو عمر البغداديّ جاهدًا لا مجاهدًا—كما يحاول غيره من الخوارج قديمًا وحديثًا— أن يَظهر للمسلمين في صورة حسب أنها تبعده عن صورة الخوارج؛ فذكر أمورًا ظن أنها فارقة بين مذهب أهل السنة والخوارج؛ ولكنها في الحقيقة قد قال بها بعض الفرق من الخوارج قديما وموّهوا بها؛ فلم تخرجهم عن كونهم خوارج ضالين من الدين مارقين؛ وذلك كعدم تكفير بعضهم للزاني والسارق وشارب الخمر ونحو ذلك، أو تقسيم الكفر إلى كفرين!، واشتراط إقامة الحجة على المخالف، والعذر بالجهل، ونحو ذلك حتى قال بعضهم بعدم تكفير مرتكب الكبيرة كفرًا يخرج من الملة؛ كما سيأتي-إن شاء الله تعالى- بيانه بوضوح[٦٨].

وبعد هذه النظرة العامة في نشأتهم وعقيدتهم، وبعد معرفة أن أصل الأصول عندهم مسألة الحكم والخلافة، فلنا عدة وقفات مع الخلافة.

٦٧ الصواعق المرسلة (٣/٩٢٥).

٦٨ فصل بيان مقالات الخوارج، والأصل الذي أجمعوا عليه، من هذا الكتاب.

وقفات مع الخلافة.

لقد مضى أن سبب ظهور هذه الجماعات والتنظيمات هو سقوط الدولة العثمانية التي يسموها خلافة، وجعلوا ذلك رأس منهاجهم وعمود فسطاطهم، بل جعله العدناني الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل!؛ كما مرّ النقل عنه، وهنا لنا عدة وقفات:

الوقفة الأولى: حقيقة الخلافة.

إن الخلافة في الإسلام ليست مجرد لقب أو اسم يلقب أو يسمى به رجل من المسلمين، وإنما هي حقيقة لها أركانها وشروطها، وكل شيء لابد له من حقيقة وإلا كان عدما، ولو لم يكن الأمر كذلك؛ لاستطاع كل أحد أن يدعي ما يدعيه بلا حقيقة!، وأظهر مثال على ما نقول هو: الروافض؛ وذلك في ادعائهم الإمامة في معدوم أو موهوم لا حقيقة له.

والخلافة لم ترد في نصوص الكتاب والسنة إلا مقيدة بمعنى إذا تحقق هذا المعنى تحقق الاسم، قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ص: ٢٦، فمقتضى الخلافة الحكم بالحق والعدل بين الناس أي: بالوحي والنبوة، وهو حراسة الدين وسياسة الدنيا به، قال العلامة السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: "تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية"اهـــ، ولهذا فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الخلافة وبين الملك سواء كان عضوضا أو جبريا بأن الخلافة تكون على منهاج النبوة، فعن حذيفة –رضي الله عنه– قال: قال صلى الله عليه وسلم: "**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا**

جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت"[٦٩].

وكذلك ما رواه سفينة –رضي الله عنه– قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا**" ثم يقول سفينة: أمسك: خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستة"[٧٠].

فهذا قدر مكتوب أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم!.

فإن قال قائل: قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**لا يزال هذا الأمر عزيزا ما تولى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش**"[٧١]، فقد سمى ما بعد الخلافة الراشدة خلفاء.

نقول:

أولا: قد جاءت الرواية في صحيح البخاري "**يكون اثنا عشر أميرا**"[٧٢]، فيكون هذا من باب التصرف من الرواة لا سيما وقد جرى اصطلاح الناس على ذلك فيمن ليسوا بخلفاء؛ فضلا عن أن يكونوا على منهاج النبوة، كما تسمى العبيديون بالخلفاء وهم كذبة أدعياء.

ثانيا: أن المقصود بالخلافة في الحديث الأول خلافة على منهاج النبوة، وليست أي خلافة، وهذه تكون في أول عهد الإسلام ثم تكون في آخر الزمان على الوصف الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يقع بينهما ما هو إلا الملك سواء كان عاضا أو جبريا، وإن تسمى بالخلافة فليست على منهاج النبوة.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين "خلفاء" وإن كانوا ملوكا؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

---

٦٩ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٣/٤)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥).

٧٠ رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٠/٥، ٢٢١)، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٥٣٩٥) وغيرها.

٧١ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢١).

٧٢ صحيح البخاري (٧٢٢٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر؛ قالوا فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول؛ ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**". فقوله: "**فتكثر**" دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيرا. وأيضا قوله: "**فوا ببيعة الأول فالأول**" دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا. وقوله: "**فأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**" دليل على مذهب أهل السنة؛ في إعطاء الأمراء حقهم؛ من المال والمغنم"[٧٣].

وقد أورد الإمام ابن القيم الحديثين ثم قال –رحمه الله-: "فإن قيل: فكيف الجمع؟ قيل: لا تعارض بين الحديثين؛ فإن الخلافة المقدرة بثلاثين سنة هي خلافة النبوة كما في حديث أبي بكرة ووزن النبي صلى الله عليه وسلم بأبي بكر ورجحانه وسيأتي، وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء**" وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء وهو مشترك واختص الأئمة الراشدون منهم بخصيصة في الخلافة وهي خلافة النبوة وهي المقدرة بثلاثين سنة؛ خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر واثنتين وعشرين يوما وخلافة عمر بن الخطاب عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وخلافة عثمان اثنتي عشر سنة إلا اثني عشر يوما وخلافة علي خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوما وقتل علي سنة أربعين فهذه خلافة النبوة ثلاثون سنة.

وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة -منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع.

---

[٧٣] مجموع الفتاوى (٣٥/٢٠).

والدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أوقع عليهم اسم الخلافة بمعنى الملك في غير خلافة النبوة قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة: "**سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يقولون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يقولون ويفعلون ما لا يؤمرون من أنكر بريء ومن أمسك سلم ولكن من رضي وتابع**"[٧٤].

قال العلامة الألباني –رحمه الله-: "فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهؤلاء هم المعنيون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح... قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: "ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكا؛ و لم يكونوا خلفاء الأنبياء"[٧٥]"[٧٦]، فتبين لك أنها تسمية اصطلاحية.

فضلا عن أن ما ورد في صفة الاثنى عشر خليفة أمران ذكرهما الحافظ في الفتح؛ فقال: "... وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم وهو كون الإسلام عزيزا منيعا وفي الرواية الأخرى صفة أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس كما وقع عند أبي داود"[٧٧].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله- : "فإنهم -أي :ملوك بني أمية- استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين، وكانت جيوشهم جيشا بالأندلس يفتحه، وجيشا ببلاد الترك يقاتل القان الكبير، وجيشا ببلاد العبيد، وجيشا بأرض الروم، وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزا في جميع الأرض؛ وهذا تصديق ما أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: "**لا يزال هذا الدين عزيزا ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**"[٧٨].

---

[٧٤] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٢٤٣/١١)، مع عون المعبود.

[٧٥] مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٠)

[٧٦] السلسلة الصحيحة (٨٢٧/١).

[٧٧] فتح الباري (٢١١/١٣).

[٧٨] منهاج السنة (٢٤٠/٨).

وكل ذلك يبين لك بطلان دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة نبوة، بل حتى لم تكن ملكًا عضوضًا؛ وإنما ملكًا جبريًّا، ولا يحكم بما أنزل الله كما سيأتي بيانه؛ فما وجه التباكي عليها ممن يكفر من لم يحكم بما أنزل الله تعالى؟!.

وكذلك يبين هذا بطلان ادعاء "داعش" أنهم دولة الخلافة الراشدة؛ لأنهم لا يستحقون هذا الوصف –أعني: الخلافة– لا لأنهم خوارج فحسب؛ بل لأن هذا الاسم والوصف لابد له من حقيقة كما مر فإن هؤلاء يشبه حالهم من يضع العربة قبل الحصان، "فإن قال قائل: إن اسم الإمارة واقع بلا خلاف على من ولي جهة من جهات المسلمين وقد سمي بالأمارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات أو سرية أو جيشا، فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق: أن الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا قائما؛ فهو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لأن هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك، وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز البتة أن يوقع اسم الإمامة مطلقا ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم، أو الواجب له ذلك...، وكذلك اسم الخلافة بإطلاق لا يجوز أيضا إلا لمن هذه صفته وبالله التوفيق"[٧٩].

[٧٩] بتصرف يسير واختصار من الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧٥).

الوقفة الثانية: حقيقة الخلافة العثمانية.

إن هذه الخلافة –نعني العثمانية– لم تكن إلا مجرد تسمية لا حقيقة لها، فضلا عن أنها كانت تتبنى العقيدة الصوفية وتنشر الشرك وتحارب التوحيد، فلم تكن خلافة حقيقة لأنها ليست على منهاج النبوة، وإنما هي ملك جبري، ولكن التباكي من الإخوان وأتباع هذه التنظيمات عليها وتصويرها بصورة الخلافة ورآه ما ورآه مما سيأتي بيانه –إن شاء الله– من لهثهم خلف السلطة والإمارة "الحاكمية".

قال أبو مصعب السوري: "ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجهاد دفعا وطلبا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية.

ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادا لدولة الإسلام ورايته وحضارته. وامتدادا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولة العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة ١٩٢٤م"[٨٠]اهـ.

إن الخلافة أو الإمامة العظمى هي: حمل الكافّة على مقتضى النّظر الشّرعي في مصالحهم الأخرويّة والدّنيويّة الرّاجعة إليها؛ إذ أحوال الدّنيا ترجع كلّها عند الشّارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به، كذا عرفها ابن خلدون[٨١]، وأما الماوردي فقال: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع[٨٢].

---

٨٠ دعوة المقاومة، ص: ٣٥٨.

٨١ مقدمة ابن خلدون (١/٢٣٩)، ط: دار الفكر، بيروت.

٨٢ الأحكام السلطانية للماوردي ص: ١٥، ط:دار الحديث، القاهرة.

فإذا علمت ذلك فاعلم بطلان تلك الدعوى –أعني: دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة– لأنها لم تكن تحرس الدين ولا تسوس الدنيا به، بل كانت تسوس الدنيا بالتصوف والخرافات، وتحارب التوحيد والدعوة إليه، وكانت تحكم بالقوانين ومن سلاطينها من سمي بذلك، وهو: "سليمان القانوني"[٨٣]، وعليه فيلزم على قولهم بالحاكمية: أنهم كفار، فكيف يدعون أنها كانت خلافة؟!.

بل قال الإمام سعود بن عبد العزيز–رحمه الله– في رسالته إلى والي بغداد: "وأما قولكم: فنحن مسلمون حقا، وأجمع على ذلك أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة، ومجتهدو الدين والملة المحمدية.

فنقول: قد بيَّنا من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أتباع الأئمة الأربعة، ما يدحض حجتكم الواهية، ويبطل دعواكم الباطلة، وليس كل من ادعى دعوى، صدقها بفعله؛ فما استغنى فقير، بقوله: ألف دينار، وما احترق لسان، بقوله: نار، فإن اليهود أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله لما دعاهم إلى الإسلام، قالوا: نحن مسلمون، إلا إن كنت تريد أن نعبدك، كما عبدت النصارى المسيح، وقالت: النصارى مثل ذلك؛ وكذلك فرعون، قال لقومه: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ غافر: ٢٩، وقد كذب وافترى في قوله ذلك.

وحالكم، وحال أئمتكم، وسلاطينكم تشهد بكذبكم وافترائكم في ذلك. وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام اثنين وعشرين، رسالة لسلطانكم: سليم، أرسلها ابن عمه، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث به، ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء، من النصارى وغيرهم؛ وفيها من الذل، والخضوع، والعبادة، والخشوع، ما يشهد بكذبكم. وأولها: "من عُبَيدِك السلطان سليم، وبعد: يا رسول الله، قد نالنا الضر، ونزل بنا من المكروه ما لا نقدر على دفعه، واستولى عباد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا"، وذكر كلاما كثيرا، هذا معناه وحاصله.

[٨٣] وسمي بذلك لإدخاله القوانين الأوربية في حكمه!.

فانظر إلى هذا الشرك العظيم، والكفر بالله الواحد العليم، فما سأله المشركون من آلهتهم، العزى، واللات، فإنهم إذا نزلت بهم الشدائد، أخلصوا لخالق البريات.

فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظن بفعل عامتكم، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم، كتبا كثيرة، في الحجرة، للعامة والخاصة، فيها من سؤال الحاجات، وتفريج الكربات، ما لا نقدر على ضبطه..."[٨٤].

وأما آخر سلاطينهم السلطان "عبد الحميد الثاني" الذي يثني عليه الإخوان وهذه الجماعات ومن على شاكلتهم ويمجدونه بدعوى أنه رفض بيع فلسطين، فقد كان صوفيا شاذليا محترقا، وقد نشروا وثيقة في ذلك عبارة عن رسالة منه إلى شيخ الطريقة الشاذلية محمود أبي الشامات، يقول في مطلعها: "أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، وإلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة. بعد تقديم احترامي أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا، وأعرض أنني مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة".

فانظر إلى ثنائهم على عدم بيع فلسطين وتعاميهم عن الكفر والشرك المبين[٨٥]، ولا عجب فقد كان شيخهم ومؤسسهم صوفيا حصافيا، يتهاون في الشركيات ولذلك أذنابهم يهونون من شرك القبور ويعظمون ما يسمونه شرك القصور![٨٦].

---

[٨٤] انظر الدرر السنية (٣٠٣/١).

[٨٥] وليس في هذا تكفير لهم ؛ففرق بين كفر النوع وكفر التعيين.

[٨٦] ومن هؤلاء هذا الداعية إلى الضلال "محمد حسان" الذي هون من التحذير من شرك القبور وادعى أنه لا وجود له في واقع الدعاة وأن الواجب إذا أراد أن يحذر منه أن يمر عليه مرورا سريعا وألا يستغرق محاضرة أو خطبة!!، وقد رد عليه العلامة الفوزان وقال عن كلامه: لا يقوله إلا جاهل أو منافق، ويمكنك سماعه عبر الشبكة بعنوان: "العلامة الفوزان يقول عن كلام محمد حسان لا يقوله إلا منافق".

فهذه هي حقيقة الدولة العثمانية وحقيقة خلافتها، فليست خلافة على منهاج النبوة وإنما هي ملك جبري فنتبه لذلك رحمنا الله وإياك.

الوقفة الثالثة: الخلافة الراشدة في آخر الزمان، والمهدي.

إن الخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد نهاية الملك الجبري ونهايته على يدي المهدي وهذا ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، ومن قام بجمع الروايات الواردة في هذا الشأن تبين له ذلك.

فأما أن الخلافة الراشدة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد الملك الجبري؛ فقد دل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**. ثم سكت"[٨٧].

فقد بين صلى الله عليه وسلم أن أول الخير في هذه الأمة هي النبوة التي أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم، ثم يتبعها خلافة على منهاج هذه النبوة، ثم يتبعها ملك عاض، ثم يتبعه ملك جبري، ثم تتبعه خلافة على منهاج النبوة، فلا يسبق هذه الخلافة الأخيرة التي هي على منهاج النبوة إلا الملك الجبري، ولن يلحق هذه الخلافة شيء، إذًا فالخلافة على منهاج النبوة تكون في آخر الزمان، وكل ما كان قبل هذه الخلافة فليس إلا ملكا جبريا مهما سماه أتباعه وأنصاره بأسماء أو وصفوه بأوصاف فهو ملك جبري!

ومما يتصف به هذا الملك الجبري الظلم والجور الذي يملأ الأرض شيئا فشيئا حتى يخلص الله عباده الصالحين منه بأن يبعث فيهم رجلا من نسل النبوة يتفق اسمه مع اسم جده صلى الله عليه وسلم فيملأ هذه الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وذلك ما جاء في الحديث الصحيح "**لتملأن الأرض جورا وظلما، فإذا ملئت جورا**

[٨٧] سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٥).

وظلما، بعث الله رجلا مني، اسمه اسمي، فيملؤها قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما"[٨٨].

فدل هذا الحديث على أن العدل والقسط الذي هو من لوازم الخلافة الراشدة لن يكون إلا على يد المهدي، وأنه لا يسبق بعثته –أي المهدي– إلا الجور والظلم، اللذان لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونا صفة لخلافة على منهاج النبوة!، إذًا فما سبق المهدي من حكم –وإن سماه أنصاره خلافة– فليس إلا ملكا جبريا.

قال العلامة أحمد بن يحيى النجمي –رحمه الله–: "إن الخلافة ستكون لابد، ولكنها بقدر الله متى شاء أن تحصل حصلت، وقد دلت الأدلة على أنها ستكون على يدي المهدي الذي يوطئ لنزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام"[٨٩].

فإن قيل: فإن ثمة أحاديث تدل على وجود خلفاء يعز في عهدهم الإسلام ويكون قويا منيعا، وهم قبل المهدي، كحديث: "**لا يزال هذا الأمر عزيزا ما تولى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش**"[٩٠].

وقد سبق الجواب عن هذا الإشكال في الوقفة الأولى حول حقيقة الخلافة، ولكن ننقل شيئا مما سبق –باختصار– مع بعض الإضافات لا تغني عن الرجوع إلى ما سبق، فنقول:

إن هذا الحديث ولو سماهم خلفاء فإنها ليست خلافة على منهاج النبوة، وإنما هي مجرد تسمية والحقيقة أنها ملك دل على ذلك:

أولا: حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**سيكونُ بعدي خلفاءُ يَعملونَ بما يَعلمونَ، ويَفعلون ما يُؤمرُونَ، وسيكونُ بعدي خلفاءُ يَعملونَ بما لا يَعلمون، ويَفعَلون ما لا يُؤمرونَ، فمن أنكرَ عليهم برئَ، ومن أمسك بيده سلم، ولكنْ من رضِيَ وتابع**"[٩١].

---

[٨٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (١٥٢٩).

[٨٩] انظر: جمع الشتات فيما كتب عن الإخوان من ملاحظات، ص: ٧٤.

[٩٠] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢١).

فقد سمى هؤلاء الحكام الذين يَعملونَ بما لا يَعلمون، ويَفعَلون ما لا يُؤمرونَ خلفاء، ولا شك أن هذه صفات تنافي صفات الخلافة الراشدة وإلا فقد بين صفات الذين يلونه صلى الله عليه وسلم بأنهم يَعملونَ بما يَعلمونَ، ويَفعلون ما يُؤمرُونَ، وهم الخلفاء الراشدون.

ثانيا: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[٩٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر؛ قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول؛ ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم"**.

فهذه الأحاديث دلت على جواز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين بالخلفاء، وإن كانت مجرد تسمية، ونحن لا ننازع في جواز تسمية الملك أو الحاكم أو ولي الأمر خليفة، ولكن النزاع في أن توصف خلافته بالخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين "خلفاء" وإن كانوا ملوكا؛ و لم يكونوا خلفاء الأنبياء"[٩٣].

وقال ابن القيم –رحمه الله–: "وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء وهو مشترك واختص الأئمة الراشدون منهم بخصيصة في الخلافة وهي خلافة النبوة"[٩٤].

قال العلامة الألباني –رحمه الله–: "فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهؤلاء هم المعنيون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح"[٩٥].

---

[٩١] صححه الألباني، وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٠٠٧).

[٩٢] البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

[٩٣] مجموع الفتاوى (٣٥/٢٠).

[٩٤] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٢٤٣/١١)، مع عون المعبود.

[٩٥] السلسلة الصحيحة (٨٢٧/١).

وأما ما قاله بعض أهل العلم من أن هؤلاء الخلفاء ليسوا على التوالي وأن المهدي أحدهم فهو بعيد يرده لفظ الحديث نفسه بأكثر من وجه.

الأول: قوله: "لا يزال" وهو يدل على الاستمرار دون الانقطاع.

الثاني: أنه على هذا المعنى يكون المسلمون أعزة بداية من الخلافة إلى آخر الزمان، وهذا ما ترده الأحاديث الصحيحة المؤيدة بالواقع المشاهد فإن المسلمين مروا بسنين ضعف وذل لا سيما بعد زوال دولة بني أمية إلى يومنا هذا، ولذا فلعل الأقرب إلى الصواب أن نقول: الخلفاء الأربعة ومعاوية رضي الله عنه وابنه يزيد، ثم عبد الملك ابن مروان وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة، وقد كان الإسلام في زمانهم عزيزا.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: " وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة –منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع"[٩٦].

وقال ابن أبي العز–رحمه الله تعالى-:"وكان الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسدا منغصا، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود!، وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزا في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر"[٩٧].

وفي تقرير بديع من العلامة عبد المحسن العباد –حفظه الله- يقول: "وأما ما قاله الحافظ اسماعيل بن كثير -رحمة الله عليه- في كتابه التفسير في سورة المائدة عند ذكر

---

[٩٦] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٢٤٣/١١)، مع عون المعبود.

[٩٧] شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٧٣٦).

النقباء، وأن المهدي: يمكن أن يكون أحد الأئمة الاثنا عشر فهذا: محل نظر، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "**لا يزال أمر هذه الأمة قائما ما ولى عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**" فقوله: "**لا يزال أمر هذه الامة قائما**"، يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس، وجعل نكبة على المسلمين وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: "**لا يزال أمر هذه الامة قائما**" ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دويلات كثيرة وفي زماننا هذا أعظم وأكثر.

والمهدي حتى الآن لم يخرج فكيف يصح أن يقال إن الأمر قائم إلى خروج المهدي هذا لا يمكن أن يقوله من تأمل ونظر.

والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث "**لا يزال أمر هذه الأمة قائما ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**" أن مراده من ذلك: الخلفاء الأربعة ومعاوية رضي الله عنه وابنه يزيد، ثم عبد الملك ابن مروان وأولاده الأربعة وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة والمقصود أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك، فإن الدين في زمانهم قائم والإسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين في ظهور دينهم؛ فدينهم ظاهر وأمرهم قائم وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعد ما جرى من الخطوب على يد الحجاج وغيره، وبهذا يتبين أن هذا الأمر الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم قد

وقع ومضى وانتهى، وأمر المهدي يكون في آخر الزمان وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة"[٩٨].

تنبيه مهم جدا:

ليس معنى أن الخلافة الراشدة لا تكون إلا في آخر الزمان، أو أنها تقوم بقدر الله على يدي المهدي؛ أن ندع العمل والدعوة انتظارا لخروج المهدي! كما هو عند الشيعة الروافض، وأذنابهم من الصوفية!، وإنما نحن في سبيلنا على منهاج النبوة، من الدعوة إلى التوحيد، والمنهج السديد، وتعبيد الناس للعزيز المجيد، لا نريم ولا نحيد ولا نبدل ولا نستبدل حتى نقيم الدولة المسلمة دولة التوحيد، وحتى تنصر السنة وتنشر، وتموت البدعة وتقهر.

قال العلامة الألباني –رحمه الله-: " واعلم يا أخي المسلم أن كثير من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقا، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل على العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ظل ثلاثة وعشرين عاما وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعا وأحزابا، وعلماءهم – إلا القليل منهم – اتخذهم الناس رؤسا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد

---

[٩٨] عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، ص: ١٦٢.

كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ التوبة: ١٠٥.

ومنهم -وفيهم بعض الخاصة- من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: " وداوني بالتي كانت هي دواء"! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر! وطائفة منهم رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالا سيئا، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق! وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة، لأن بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلا صراحة، كالشيخ شلتوت، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضا، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين. وما مثل هؤلاء المنكرين جميعا عندي إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة!﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾"[٩٩].

فينبغي التفريق بين عودة الخلافة الراشدة التي تسير على منهاج النبوة، والتي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون في آخر الزمان بقدر الله رب العالمين، وبين الدعوة إلى إقامة الدولة المسلمة على التوحيد والسنة في كل بلاد المسلمين ولو لم يكونوا تحت إمام واحد.

---

[٩٩] السلسلة الصحيحة (٤٢/٤).

وبهذا يعلم أن خلافة "داعش" المزعومة! ليست هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ولا الملك العضوض "ملك ورحمة"[100]؛ وإنما هي خلافة على منهاج الخوارج الذين يخلف بعضهم بعضا على منهجهم الفاسد؛ فكلما قطع منهم قرن خرج آخر، حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم!!.

[100] كما في الحديث الصحيح انظر الصَّحِيحَة: ٣٢٧٠.

الوقفة الرابعة: أصل الأصول بين منهاج النبوة، ومنهاج الخوارج.

لابد للعبد إن أراد الفلاح أن يلزم منهاج النبوة ولا يحيد عنه ولا ينحرف عن أصوله لا سيما أصل أصوله، قال أُبي بن كعب –رضي الله عنه-: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة. وذكر الرحمن؛ ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فيعذبه. وما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكره -يعني الرحمن سبحانه- في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله -إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتَّ عنها ورقها، إلا حط عنه خطاياه كما تحاتُّ عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا، أن **يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم**"[١٠١].

إن أصل الأصول في منهاج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك؛ فالتوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل؛ ومن الآيات الدَّالَّة إجمالاً على دعوة الرسل أممهم إلى إفراد الله بالعبادة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا"[١٠٢].

---

[١٠١] رواه الإمام ابن المبارك في الزهد، باب لزوم السنة (٢/ ٢١)، والإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٤)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٥٩)، والإمام أبو نعيم في الحلية عند ترجمة أبي رضي الله عنه (١/ ٢٥٣).

[١٠٢] تفسير الطبري (١٧/ ٢٠١).

قال السعدي –رحمه الله-: "يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا **وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له**".

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وقول الله عزَّ وجلَّ في سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ النحل: ٢وغير ذلك.

فالأنبياء مع اختلاف ضلال أقوامهم وتنوع انحرافاتهم إضافة إلى شركهم؛ كانت أول دعوتهم جميعا إلى التوحيد، وذلك أن أعظم الذنب الشرك بالله والكفر به سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم حين سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: "**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**"[١٠٣]. فما فائدة النجاة من كل ذنب وقد وقع الأبعد في أعظم ذنب لا يغفره الله ويغفر ما دونه لمن يشاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٨ وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١١٦.

فلأجل هذه الحقيقة كانت دعوة الأنبياء جميعا واحدة وكلمتهم واحدة ومنهاجهم واحدا؛ لأن دينهم واحد، كما قال صلى الله عليه وسلم: "**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**"[١٠٤] وقد جاء في القرآن تفصيل دعوة كل واحد منهم فمن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ الأعراف: ٥٩.

---

١٠٣ صحيح البخاري (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم (٨٦).

١٠٤ صحيح البخاري (٣٤٤٣).

وقال عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت: ١٦ - ١٧.

وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ٦٥.

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الأعراف: ٧٣.

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الأعراف: ٨٥.

وقالها عيسى عليه السلام لقومه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢والآيات في ذلك كثيرة جدا.

وفي خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، في أول ما نزل عليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ المدثر: ١ - ٥.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "ومعنى {قُمْ فَأَنْذِرْ}، ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}، أي: عظمه بالتوحيد. {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أي: طهر

أعمالك عن الشرك. {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}، الرجز بالأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها"[١٠٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**"[١٠٦].

وكما كانت هذه دعوة الرسل فقد كانت دعوةَ رسل الرسل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم**"[١٠٧].- وفي رواية: "**أن يوحدوا الله**"[١٠٨]، وهذا قبل الصلاة والصيام والزكاة وسائر الفرائض.

وبيان أهمية التوحيد والدعوة إليه، أمر مستفيض في السنة النبوية؛ ولهذا كان الصحيح أن **أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله**، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[١٠٩]. وهو أول واجب وآخر واجب[١١٠]، وأعظم الواجبات، وأفضل القربات التوحيد، وأعظم الذنوب وأقبح المعاصي الشرك.

---

[١٠٥] ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول) (ص: ١٩٣).

[١٠٦] البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

[١٠٧] البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

[١٠٨] البخاري (٧٣٧٢).

[١٠٩] صححه الألباني في سنن أبي داود (٣١١٦).

[١١٠] انظر: شرح الطحاوية ت: الأرناؤوط (١/ ٢١).

قال الكرماني –رحمه الله-: "ثم أنه قدم التوحيد على غيره لأنه أصل الأصول وهو معنى كلمة الشهادة التي هي شعار الإسلام"[111].

قال شيخ الإسلام بعد ذكر آيات دالة على التوحيد: "فَهُوَ أصل الْأُصُول وَقَاعِدَة الدّين حَتَّى فِي سورتي الْإِخْلَاص قل يَا ايها الْكَافِرُونَ وَقل هُوَ الله أحد وَهَاتَانِ السورتان كَانَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يقْرَأ بهما فِي صَلَاة التَّطَوُّع كركعتي الطّواف وَسنة الْفجْر وهما متضمنتان للتوحيد فَأَما قل يَا أَيهَا الْكَافِرُونَ فَهِيَ متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وَهُوَ إخلاص الدّين لله بِالْقَصْدِ والإرادة"[112].

وقال –رحمه الله-: "... قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نسعتين إلا إياه. وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل حتى إنه سبحانه قطع أثرالشفاعة بدون إذنه [ثم عدد الآيات الدالة على ذلك ثم قال:]... والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول"[113].

قال العلامة المعلمي اليماني –رحمه الله-: "ومعرفة معنى "لا إله إلا الله" أصل الأصول"[114].

وهذا كثير مبذول في كلام أهل السنة والجماعة، وهو منهاج الأنبياء وسبيل المؤمنين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وهو منهج القرون المفضلة الأولى ومن سار خلفهم واقتفى أثرهم ولزم غرزهم.

وأما أن يكون الحكم والحاكمية، أو الخلافة والإمامة هو أصل الأصول!، فنعم!، هو أصل الأصول!، ولكن ليس في منهاج النبوة، وإنما في منهاج الخوارج كلاب أهل النار!، وفي منهاج الروافض الفجار، فلقد عُرف الخوارج قديما -أول ما عرفوا-

---

١١١ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٩٥).

١١٢ أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٦٢).

١١٣ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٢٦).

١١٤ آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني (٢/ ١٩٩).

بالمُحكِّمة، لأجل مسألة الحكم، وهذه المسألة هي الأصل الذي اتفقوا عليه جميعا في القديم –كما سيأتي إن شاء الله– وفي الحديث، كما مر من كلامهم، وكلام سيدهم وقطبهم فالحاكمية عندهم أصل الدين، حتى آخرهم ومتحدثهم الغر الصغير الذي زعم أن الخلافة هي الغاية من خلق الخلق، وإرسال الرسل، وسل سيوف الجهاد!؛ فقال: "تلك حقيقة الاستخلاف، **الذي مِن أجله خلقنا الله،** ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم،...**وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وسُلّت سيوف الجهاد**"[115].

فقد جعلوا الاستخلاف هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق !، ومن أجلها أرسل رسله، وسلت سيوف الجهاد!، وهذا تقول على الله تعالى بغير علم قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣.

بل هو افتراء وكذب على الله جل وعلا قال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ٢١.

بل هذا تبديل لدين الله تعالى، وحكم بغير ما أنزل الله رب العالمين؛ لا في الشرائع؛ بل في أصل الأصول! فبما يحكم هؤلاء وأتباعهم على أنفسهم إن كانوا صادقين؟!.

ألم يقل سبحانه عن الغاية من خلق الخلق: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، ولم يقل جل وعلا: {إلا ليستخلفون}، قال ابن عباس – رضي الله عنهما– في تفسيرها: " ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها"[116].

---

[115] كلمة صوتية بعنوان: "هذا وعد الله".

[116] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣١٣)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٤٥).

قال العلامة السعدي –رحمه الله–: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"اهـ.

فالغاية التي من أجلها خلقنا الله هي العبادة وتوحيده سبحانه وإفراده بها، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وسلت سيوف الجهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب"[١١٧].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله–: "وتلك العبادة التي خُلق لأجلها الخلق كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فأخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة وكذلك إنما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها"[١١٨].

وقال العلامة ابن باز –رحمه الله–: "شهادة ألا إله إلا الله: هو توحيد الله وإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه. وهذا المعنى هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، وأنزل به الكتب، وقام عليه سوق الجهاد، وانقسم الناس فيه إلى كافر ومؤمن، وشقي وسعيد"[١١٩].

---

[١١٧] مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩).

[١١٨] الفوائد لابن القيم (ص: ١٢٢).

[١١٩] مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ١٢).

فهي أيضا الغاية من الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣، قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري –رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة يعني: حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان"[١٢٠].

بل عليك أن تعلم أن المقصد من وجود الخلافة والإمامة والولاية أن يكون الدين كله لله كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: "فهذه: قاعدة في الحِسبة.
أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون "[١٢١].

فالخلافة وسيلة وليست غاية فكما مر في تعريفها أنها إنما وضعت لحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهذا ما لا يقر به الخوارج في كل عصر ومصر!، ولا بأس فإن الخوارج لا اعتداد بهم ولا اعتبار لهم!، ومع ذلك فإليك بيان هذه القضية وتلك المسألة ألا وهي: الحكم والحاكمية ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنفال: ٤٢.

---

[١٢٠] جامع البيان ت شاكر (٣/ ٥٧٠).

[١٢١] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١).

الوقفة الخامسة: مسألة الحكم والحاكمية.

إن من الواجبات المتحتمات في دين رب البريات الحكم بما أنزل الله –سبحانه– في كتابه أو في سنة نبيّه –صلى الله عليه وسلم–، فإن الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو الاستسلام ظاهرا وباطنا لله رب العالمين والانقياد التام له سبحانه، وإن أول ما يدخل العبد به دين الله؛ كلمة التوحيد "**لا إله إلا الله**" وهذه الكلمة لها شروط بيّنها أهل العلم منها: القبول لما جاءت به هذه الكلمة، والانقياد التام له، فلا يجد في نفسه غضاضة لحكم من أحكام الله بل يلقاها جميعها بالتسليم والقبول والانقياد، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥، فلا يتمّ للعبد إيمان حتى تقوم حياته على شريعة ربه عقيدة وعبادة، تحليلا وتحريما، أمرا ونهيا، سلوكا وخُلقا، ومعاملة، فالمؤمن الحق هو الذي يحكم شرع الله على نفسه في كل كبير وصغير، فلا حياة لقلبه إلا بشرع الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤.

وقد أمر سبحانه بالحكم بما أنزل، وحذر من اتباع الأهواء المخالفة له، وأنه لا حكم أحسن من حكمه –جل وعلا– لقوم يوقنون فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ

ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٤٨ – ٥٠.

وبين سبحانه أن الصد عن الحكم بما أنزل من شأن المنافقين فقال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١.

وأخبر بأن من كره ما أنزل الله فقد حبط عمله فقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ محمد: ٩.

وهذا عام في الحكام والمحكومين، فإننا حينما نتكلم عن وجوب الحكم بما أنزل الله واتباع شريعته سبحانه والتسليم لما جاء به النبيّ الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ لا نتكلم عن طائفة من المسلمين دون طائفة، بل هو أمر عام شامل لهم جميعا حكاما ومحكومين، وبهذا جاءت النصوص الشرعية في كتاب رب البرية، ولم تفرق بين أحد من عباد الله كم مر؛ بل آيات الحكم إنما أنزلت في شأن المحكومين لا الحاكمين كما سيأتي -إن شاء الله- في الفصل القادم.

فصل: حكم من لم يحكم بما أنزل الله.

قد مضى معنا أن الحكم بما أنزل الله تعالى من أوجب الواجبات، وتركه من أعظم المحرمات، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى؛ ولذلك فالحكم في مسألة الحكم فيه تفصيل؛ والعمدة في هذه المسألة هي تلك الآيات من سورة المائدة:

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة:٤٤.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المائدة: ٤٥.

وقال جلا وعز: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة: ٤٧.

روى مسلم[١٢٢]بسنده عن البراء بن عازب قال: مر على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهودي محمما مجلودا فدعاهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**" قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم فقال: "**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**" قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجلعنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**". فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ المائدة: ٤١، يقول: ائتوا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، **في الكفار كلها**"[١٢٣].

فإن قيل: "**نزلت في الكفار كلها**" بمعنى أن كلها كفر أكبر لا كفر دون كفر، ولا كفر أصغر ولا ظلم أصغر ولا فسق أصغر.

---

١٢٢ في صحيحه (١٧٠٠).

١٢٣ الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعيّ (ص: ٨٥) وقال رحمه الله : الحديث أخرجه أبو داود ج٤ ص٢٦٣ وفيه بيهودي محمم مجلود على الوصفية والإمام أحمد ج٤ ص٢٨٦، والبيهقي ج٨ ص٢٤٦، وابن جرير ج٦ ص٢٣٣ و٢٥٤ وابن أبي حاتم ج٣ ص٣.

قلنا: نرجع إلى فهم السلف إن كنا حقا سلفيين، فهذا ابن عمر -رضي الله عنهما- فهم من قوله صلى الله عليه وسلم في الكفار يعني الكفار الأصليين فقال: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين"[١٢٤].

وعن أبي صالح قال: الثلاث الآيات التي في"المائدة" ليس في أهل الإسلام منها شيءٌ، هي في الكفار"[١٢٥].

وعن الضحاك قال: "نزلت هؤلاء الآيات في أهل الكتاب"[١٢٦].

وعن عكرمة قال: "هؤلاء الآيات في أهل الكتاب"[١٢٧].

وعنه أيضا: "لأهل الكتاب كلّهم، لما تركوا من كتاب الله"[١٢٨].

قال أبو جعفر الطبريّ -رحمه الله-: "ومن كتم حُكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكمًا بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة وفي بعض بنصف الدية، وفي الأشراف بالقِصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوَّى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة "فأولئك هم الكافرون"، يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه، ولكن بدَّلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحقَّ الذي أنزله في كتابه "هم الكافرون"، يقول: هم الذين سَتَروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينُه، وغطَّوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به لسحتٍ أخذوه منهم عليه"[١٢٩].

---

١٢٤ ذكره البخاري معلقا مجزوما به في باب "قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم".

١٢٥ تفسير الطبري (١٠/ ٣٤٦).

١٢٦ تفسير الطبري (١٠/ ٣٤٧).

١٢٧ تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٥١).

١٢٨ تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٥١).

١٢٩ تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٤٥).

وأما من جعلها في المسلمين فقد قال فيها كفر دون كفر ليس بناقل عن الملة كما قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله"[١٣٠].

وفي تفسير ابن أبي حاتم عنه أيضا "قال: هي كبيرة قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وروي عن عطاء أنه قال: كفر دون كفر"[١٣١].

وعن عطاء أيضا قال: "كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم"[١٣٢].

وقد ذكر الإمام أبو جعفر الطبري –رحمه الله– هذه الأقوال وغيرها ثم قال: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: نزلت هذه الآيات في كفّار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها. وهذه الآيات سياقُ الخبر عنهم، فكونُها خبرًا عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عمَّ بالخبر بذلك عن جميع منْ لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًّا؟

قيل: إن الله تعالى عَمَّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا **بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين**، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكمَ، على سبيل ما تركوه، كافرون. **وكذلك القولُ في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر**، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعدَ علمه أنه أنزله في كتابه، نظير جحوده نبوّة نبيّه بعد علمه أنه نبيٌّ"[١٣٣].

---

١٣٠ تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٥٦).

١٣١ تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٤٣).

١٣٢ تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٥).

١٣٣ تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٨).

وأما قوله كما قال ابن عباس –رضي الله عنهما- فعنه أنه قال: "**من جحد الحكم** بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به و لم يحكم به فهو ظالم فاسق. يقول: **من جحد من حدود الله شيئا فقد كفر**"[١٣٤].

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: من حكم بكتابه الذي كتبه بيده وترك كتاب الله، وزعم أن كتابه هذا من عند الله فقد كفر"[١٣٥].

وبهذا التفصيل الذي ذكرناه قال المفسرون من أهل السنة والجماعة:

وقد مضى معنا كلام أئمتهم من السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وهذا كلام من سار على نهجهم من المفسرين.

قال ابن كثير –رحمه الله-: "وهذا أيضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس. وهم يخالفون ذلك عمدا وعنادا، ويقيدون النضري من القرظي، ولا يقيدون القرظي من النضري، بل يعدلون إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار؛ ولهذا قال هناك: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، **لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا،** وقال هاهنا: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا، وتعدى بعضهم على بعض"[١٣٦].

وقال الشوكانيّ –رحمه الله-: "قوله: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، لفظ من من صيغ العموم فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل بكل من ولي الحكم وقيل: إنها مختصة بأهل الكتاب وقيل: بالكفار مطلقا لأن المسلم لا يكفر

---

١٣٤ تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٤٢).

١٣٥ تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٥٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٤٢).

١٣٦ تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ١٢٠).

بارتكاب الكبيرة وقيل: هو محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفافا، أو استحلالا، والإشارة بقوله: فأولئك إلى من، والجمع باعتبار معناها، وكذلك ضمير الجماعة في قوله: هم الكافرون"[١٣٧].

وقال السعديّ – رحمه الله-:" ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه. وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد"[١٣٨].

وقال الشنقيطيّ –رحمه الله- :"الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية فأولئك هم الكافرون، نازلة في المسلمين ؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبا لمسلمي هذه الأمة: فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، ثم قال: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، **وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلا له، أو قاصدا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها؛ أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبا، فاعلا قبيحا، وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين**...واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر، والظلم، والفسق، كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى: ومن لم يحكم بما أنزل الله، معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقدا أنه مرتكب حراما فاعل قبيحا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة"[١٣٩].

---

١٣٧ فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠).

١٣٨ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٣).

١٣٩ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٠٧).

فهذا كلام أهل السنة والجماعة –سلفا وخلفا– في تفسير الآية.

أما الخوارج فقد حملوها على الكفر الأكبر –وقد سبق بيان ضلالهم في هذا–، ثم حملوها على التعيين[١٤٠]وهذا ضلال آخر! فكفّروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

يقول الإمام السمعانيّ –رحمه الله–:"واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم"[١٤١].

ويقول الشاطبيّ –رحمه الله–: "ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعا: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ قال: يراهم شرار خلق الله، **إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين**... وقال نافع: إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم؛

---

١٤٠ قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧):"وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرا فيتعارض عندهم الدليلان وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله و لم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حق المعين وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين"، وقال:"هذا مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل و لم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية " مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

وقال رحمه الله في الاستقامة (١/ ١٦٥):"فقد ثَبت فِي الصَّحِيح عَن ثَابت بن الضَّحَّاك عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لعن الْمُؤمن كقتله وَمن رمى مُؤمنا بالْكفْر فَهُوَ كقتله وَثَبت فِي الصَّحِيح أَن من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بِهِ أَحدهمَا وَإِذا كَانَ تَكْفِير الْمعِين على سَبِيل الشتم كقتله فَكيف كون تكفيره على سَبِيل الِاعْتِقَاد فَإِن ذَلِك أعظم من قَتله إِذْ كل كَافِر يُبَاح قَتله وَلَيْسَ كل من أُبِيح قَتله يكون كَافِرًا فقد يقتل الدَّاعِي إِلَى بدعَة لإضلاله النَّاس وإفساده مَعَ إِمْكَان أَن الله يغْفر لَهُ فِي الْآخِرَة لما مَعَه من الْإِيمَان فَإِنَّهُ قد تَوَاتَرَتْ النُّصُوص بِأَنَّهُ يخرج من النَّار من فِي قلبه مِثْقَال ذرة من إِيمَان."

١٤١ تفسير السمعاني (٢/ ٤٢).

وينكحون النساء في عددهن، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج فتكون المرأة عندهم لها زوجان؛ فلا أعلم أحدا أحق بالقتال والقتل من الحرورية"[١٤٢].

ولذلك قال لهم ابن عباس –رضي الله عنهما-: "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه"؛ فليس هو الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي تذهبون إليه أيها الخوارج قديما وحديثا.

وعن عمران بن حدير قال: قعد إلى أبي مجلز نفرٌ من الإبَاضيَّة، قال فقالوا له: يقول الله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، "فأولئك هم الظالمون"، "فأولئك هم الفاسقون"! قال أبو مجلز: **إنهم يعملون بما يعلمون –يعني الأمراء– ويعلمون أنه ذنب!** قال: وإنما أنزلت هذه الآية في اليهود! والنصارى قالوا: أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم، ولكنك تخشاهم! قال: أنتم أحق بذلك منّا! أمّا نحن فلا نعرف ما تعرفون! قالوا : ولكنكم تعرفونه، ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم!"[١٤٣]. وهذا دأب الخوارج من قديم الجهل والغرور والتطاول على أهل العلم، وما تكفيرهم لأئمة الزمان عنك ببعيد!.

ويقول سعيد بن جبير –رحمه الله- :" أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويقرءون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية"[١٤٤].

---

[١٤٢] الاعتصام للشاطبيّ (٣/ ١١٣).

[١٤٣] تفسير الطبريّ (١٠/ ٣٤٧).

[١٤٤] أخرجه الآجري في الشريعة (٤٤).

ويقول رأس الخوارج في العصر الحديث سيد قطب: "ولم يكن بد أن يكون «دين الله» هو الحكم بما أنزل الله دون سواه. فهذا هو مظهر سلطان الله. مظهر حاكمية الله. مظهر أن لا إله إلا الله، وهذه الحتمية: حتمية هذا التلازم بين «دين الله» و «الحكم بما أنزل الله» لا تنشأ فحسب من أن ما أنزل الله خير مما يصنع البشر لأنفسهم من مناهج وشرائع وأنظمة وأوضاع. فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية. وليس هو السبب الأول ولا الرئيسي. إنما السبب الأول والرئيسي، والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي أن الحكم بما أنزل الله إقرار بألوهية الله، ونفي لهذه الألوهية وخصائصها عمن عداه. وهذا هو «الإسلام» بمعناه اللغوي: «الاستسلام» وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان.. الإسلام لله.. والتجرد عن ادعاء الألوهية معه وادعاء أخص خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، وحق تطويع العباد وتعبيدهم بالشريعة والقانون، ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله. أو حتى شريعة الله نفسها بنصها، إذا هم نسبوها إلى أنفسهم، ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها لله ولم يطبقوها باسم الله، إذعانا لسلطانه، واعترافا بألوهيته وبتفرده بهذه الألوهية. التفرد الذي يجرد العباد من حق السلطان والحاكمية، إلا تطبيقا شريعة الله، وتقريرا لسلطانه في الأرض.

ومن هذه الحتمية ينشأ الحكم الذي تقرره الآيات في سياق السورة: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ .. ذلك أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله يعلنون رفضهم لألوهية الله- سبحانه- ورفضهم لإفراد الله- سبحانه- بهذه الألوهية، يعلنون هذا الرفض بعملهم وواقعهم ولو لم يعلنوه بأفواههم وألسنتهم. ولغة العمل والواقع أقوى وأكبر من لغة الفم واللسان. ومن ثم يصمهم القرآن بالكفر والظلم والفسق، أخذا من رفضهم لألوهية الله- حين يرفضون حاكميته المطلقة

وحين يجعلون لأنفسهم خاصة الألوهية الأولى فيشرعون للناس من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله"[١٤٥].

ويقول مؤسس دولة الخوارج أبو عمر البغدادي في بيان عقيدهم التي يعتقدونها ويدينون بها إلى يومهم هذا: "خامسا: نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله من خلال الترافع إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤".

وبهذا تعرف من سلف هؤلاء الدواعش، فذو الخويصرة التميمي هو سلفهم وجدهم الأكبر وقد خرجوا من ضئضئه يتنفسون التكفير، ويعشقون الدماء، وينعمون بين الأشلاء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء.

وزيادة في البيان إليك شيء من التفصيل والخلاصة لما سبق ذكره.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار؛ والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى -وكان مما يتلى فنسخ لفظه- {لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم} وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث "**اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة**" وقوله في السنن "**من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**" وفي الحديث الآخر "**من أتى كاهنا أو عرافا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد**" وقوله: "**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**" وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤. قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وكذلك قال طاوس، وقال عطاء: هو كفر دون

[١٤٥] في ظلال القرآن (٢/ ٨٢٨).

كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم، ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكنانيّ، وهو أيضا بعيد، إذ الوعيد على نفي الحكم بالمترل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه وببعضه، ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمدا من غير جهل به ولا خطأ في التأويل، حكاه البغوي"[146].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى-: "وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قولهم: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤. قالوا: كفروا كفرا لا ينقل عن الملة وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة"[147].

قال الإمام القاسم بن سلام –رحمه الله- : "فَقَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ في الذنوب أنواعا كثيرة تسمى بهذا الِاسْمِ، وَهِيَ غَيْرُ الْإِشْرَاكِ الَّتِي يُتَّخَذُ لَهَا مع الله إله غَيْرَهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَبْوَابِ عِنْدَنَا وُجُوهٌ إِلَّا أَنَّهَا أَخْلَاقُ الْمُشْرِكِينِ، وَتَسْمِيَتُهُمْ، وَسُنَنُهُمْ، وَأَلْفَاظُهُمْ، وَأَحْكَامُهُمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ.

وَأَمَّا الْفُرْقَانُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ في التنزيل، فقول الله جل وعز: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ". وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أبي رباح: "كفر دون كفر".

فَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَيْسَ بنَاقِلٍ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الدِّينَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، وَإِنْ خَالَطَهُ ذُنُوبٌ، فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا خِلَافُ الْكُفَّارِ وَسُنَّتِهِمْ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ مِنَ الشِّرْكِ سَوَاءً؛ لِأَنَّ مِنْ

---

[146] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٤).

[147] مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢).

سُنَنِ الْكُفَّارِ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾المائدة: ٥٠ تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ مَن حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَانَ بِذَلِكَ الْحُكْمِ كَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَذَلِكَ كَانُوا يَحْكُمُونَ.

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: "**ثَلَاثَةٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ والنياحة والأنواء**"[١٤٨].

وقال الإمام ابن أبي زمنين –رحمه الله-: "وَعَلَّمَنَا أَنَّ ثَمَّ شِرْكًا غَيْرَ شِرْكِ مَنْ يَجْعَلُ مَعَهُ إِلَهًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ: لَيْسَ هُوَ كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنَ الْمِلَّةِ[١٤٩].

وقال العلامة الألبانيّ –رحمه الله– في الحديث: "﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾، ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾، ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ قال: **هي في الكفار كلها**".

والحديث دليل صريح في أن المقصود بهذه الآيات الثلاث الكفار من اليهود والنصارى وأمثالهم الذين ينكرون الشريعة الإسلامية وأحكامها، ويلحق بهم كل من شاركهم في ذلك ولو كان يتظاهر بالإسلام، حتى ولو أنكر حكما واحدا منها. ولكن مما ينبغي التنبه له، أنه ليس كذلك من لا يحكم بشيء منها مع عدم إنكاره ذلك، فلا يجوز الحكم على مثله بالكفر وخروجه عن الملة لأنه مؤمن، غاية ما في الأمر أن يكون كفره كفرا عمليا. وهذه نقطة هامة في هذه المسألة يغفل عنها كثير من الشباب المتحمس لتحكيم الإسلام، ولذلك فهم في كثير من الأحيان يقومون بالخروج على الحكام الذين لا يحكمون بالإسلام، فتقع فتن كثيرة، وسفك دماء بريئة لمجرد الحماس الذي لم تعد له عدته،

---

[١٤٨] الإيمان للقاسم بن سلام (ص: ٨٨) تحقيق الإمام الألبانيّ –رحمهما الله–.

[١٤٩] أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٤٠).

والواجب عندي تصفية الإسلام مما ليس منه كالعقائد الباطلة، والأحكام العاطلة، والآراء الكاسدة المخالفة للسنة، وتربية الجيل على هذا الإسلام المصفى. والله المستعان"[١٥٠].

وهذا جواب الإمام ابن باز -رحمه الله- عن "حكم من يحكم بغَيْر مَا أنزل الله".

السُّؤَال هَل يعْتَبر الْحُكَّام الَّذين يحكمون بِغَيْر مَا أنزل الله كفَّارًا وَإِذا قُلْنَا إِنَّهُم مُسلمُونَ فَمَاذَا نقُول عَن قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾؟.

الْجَواب: الحكم بِغَيْر مَا أنزل الله أَقسَام تخْتَلف أحكامهم بِحَسب اعْتِقَادهم وأعمالهم فَمن حكم بِغَيْر مَا أنزل الله يرى أَن ذَلِك أحسن من شرع الله فَهُوَ كَافِر عِنْد جَمِيع الْمُسلمين وَهَكَذَا من يحكم القوانين الوضعية بَدَلا من شرع الله وَيرى أَن ذَلِك جَائِزا وَلَو قَالَ إِن تحكيم الشَّرِيعَة أفضل فَهُوَ كَافِر لكَونه اسْتحلَّ مَا حرم الله أما من حكم بِغَيْر مَا أنزل الله"[١٥١].

وانظر رسالة "فتنة التكفير" للعلامة الألباني، تقريظ العلامة ابن باز، وتعليق فضيلة الشيخ ابن عثيمين —رحمة الله عليهم جميعا- ثم قارن كلام هؤلاء الأعلام من أئمة الزمان بكلام الأعلام من السلف، وانظر هل خالفوهم في شيء من أصولهم وكلامهم؟!؛ فإن بذلك تعلم حقيقة تلك التهم التي رمي بها هؤلاء الأعلام، ولا يخفى عليك أن الطعن في العلماء من صفات الخوارج، وللخوارج صفات عديدة تجمعهم في كل زمان ومكان، ولتعلم هذه الصفات إليك أولا نشأة الخوارج ومقالاتهم في الفصل القادم —بإذن الله-، والله الموفق والمستعان.

---

١٥٠ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٤٥٧).

١٥١ فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص: ١٤٢).

نشأة الخوارج الأُول:

قال الإمام الآجري –رحمه الله-: "لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون[١٥٢]، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا[١٥٣]، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو رجل طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: "**ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟**" فأراد عمر رضي الله عنه قتله، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم من قتله وأخبر: "**أن هذا وأصحابا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين**" وأمر في غير حديث بقتالهم، وبيَّن فضل من قتلهم أو قتلوه.

---

[١٥٢] وسيأتي – إن شاء الله تعالى – من ذلك الشيء الكثير ،وفيه من العجب العجاب !!.

[١٥٣] الإمام الآجريّ – رحمه الله – من علماء القرن الرابع الهجريّ أي بعد ظهور الخوارج بقرون و لم يقل إن مذهب الخوارج مضى وانقضى ؛كما يروج الأفاكون !وأنى له ذلك وهم باقون إلى آخر الزمان كما صرح بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث منها " ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في أعراضهم الدجال ". السلسلة الصحيحة (٢٤٥٥)

ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان بالمدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك رضي الله عنهم ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه و لم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أرادوا بها الباطل.

فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي رضي الله عنه في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة"[١٥٤] أهـ، فهؤلاء كلما قطع منهم قرن خرج آخر حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم.

وعلى ما مضى فإننا إذا أردنا أن نتكلم عن نشأة الخوارج الأُول لابد من العودة إلى بدء الظاهرة قبل الحديث عن انتشارها؛ فثمة فرق بين البدء والانتشار، فبَدءُ الخوارج كان حينما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما، فأتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: **"ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل"**. فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: **"دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، -وهو قدحه-، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس"**[١٥٥].

---

١٥٤ الشريعة (١/١٩٠).

١٥٥ متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: (٣٦١٠)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بعث علي رضي الله عنه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: "**إنما أتألفهم**". فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق[١٥٦]، فقال: اتق الله يا محمد[١٥٧]، فقال: "**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني**" فسأله رجل قتله، -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه، (وفي رواية أخرى زيادة قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**"[١٥٨] فلما ولى قال: "**إن من ضئضئ هذا، أو: في عقب هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**"[١٥٩].

---

١٥٦ تأمل أيها القارئ الكريم في هذه الصورة ،وفيما تراه من صور أحفاده تجدهم حقًّا خرجوا من ضئضئه (نسله)!!.

١٥٧ انتبه هنا إلى أمرين:

الأول: أنه لم يقل اعطيني من المال كما أعطيتهم، ولكن أظهر شغفه إلى المال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا الخوارج في كل زمان ومكان يظهرون ما هم عليه من الباطل واتباع الهوى في صورة الحق.

الثاني: سوء الأدب عند الخوارج جميعا وطعنهم في ولاة الأمر من العلماء والامراء جميعا، وهذا ظاهر جدا في قوله: "اتق الله" وتأمل يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول له: " اعدل" ثم في قوله: "يا محمد"، فإنه وقع في مخالفة أمر الله عز وجل حيث قال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣.

١٥٨ وتأمل في منهاج النبوة من معاملة الناس بالظاهر والله يتولى السرائر، لا منهاج الخوارج الذين يزعمون -بلسان حالهم- أنهم أعلم بما في القلوب الناس!!.

١٥٩ متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٤، ٤٣٥١)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

وعند الإمام أحمد عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم مر برجل ساجد -وهو ينطلق إلى الصلاة- فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **من يقتل هذا؟** فقام رجل فحسر عن يديه فاخترط سيفه وهزه ثم قال: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله؟ ثم قال: من يقتل هذا؟ فقام رجل فقال: أنا. فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه وهزه حتى ارعدت يده فقال: يا نبي الله! كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده، لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها**".

وفي رواية عند أحمد أيضا: "**إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، حتى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم، هم شر البرية**"[١٦٠].

وعن أنس بن مالك قال: كان فينا شاب ذو عبادة وزهد، (وفي رواية: فذكروا له من **قوته في الجهاد** والاجتهاد في العبادة) (وفي رواية: رجل حسن السمت ذكروا من أمره أمرا حسنا) فوصفناه للنبي صلى الله عليه وسلم، وسميناه باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل، فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فقال: "**إني لأرى على وجهه سفعة من الشيطان**"[١٦١] فجاء فسلم على القوم، فردوا السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أجعلت في نفسك أن ليس في القوم أحد خير منك؟**"[١٦٢] قال: نعم، ثم ولى،

---

[١٦٠] أخرجهما الإمام أحمد الأولى: (٥ / ٤٢)، والثانية: (٣ / ١٥)، وانظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني – رحمها الله- (٢٤٩٥).

[١٦١] ولذلك فإن أهل العلم لا ينخدعون بما يظهر من هؤلاء من زهد وعبادة وجد واجتهاد، وما يتغنون به من الدعوة إلى الجهاد والقوة فيه!، وإنما يزنونهم بميزان النبوة ويكشفون أمرهم ببصيرة السنة، لأن الجد والاجتهاد والزهد والعبادة إن لم يكن على منهاج النبوة فلا عبرة به، فليت الناس تعلم ذلك جيدا.

[١٦٢] وتأمل في كبر هؤلاء الخوارج وما انطوت عليه أنفسهم من العجب، فهذا أول قرن ظهر منهم لا يرى أحدا خيرا منه مع أن فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم! فكيف بمن سواه؟!، وهذا الأمر ملاحظ في الخوارج في كل زمان، ويكفيك تلك الصور التي تفرض نفسها على مخيلتك الآن وأنت تقرأ هذا الكلام، كصورة أيمن

فدخل المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من يقتل الرجل؟**"[163] فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال "**من يقتل الرجل؟** فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجدا، فقال: أقتل رجلا يصلي وقد نهانا عن ضرب المصلين " فجاء، فقال له النبي: "**مه يا عمر**" قال وجدته ساجدا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين،(وفي رواية: أنه قال لكل من أبي بكر وعمر "**اجلس فلست بصاحبه**") ثم قال: "**من يقتل الرجل؟**" فقال علي رضي الله عنه: أنا، فقال: "**أنت تقتله إن وجدته**"[164]، فذهب علي فجاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**مه يا علي**" قال: وجدته قد خرج، فقال: "**أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان**"[165].

الظواهري، وأبي محمد المقدسي، وأبي قتادة الفلسطيني وأبي أبكر البغدادي وأبي محمد العدناني، أناس يرون أنهم المسلمون ومن سواهم كفار مجرمون!! فماذا تنتظر منهم؟!.

[163] قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: "فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج؛ كالحرورية والرافضة ونحوهم: فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد. والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم؛ كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**"، وقال: "**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**" وقال عمر لصبيغ بن عسل: لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك. ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه. ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض. فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة. ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل ذلك الخارجي ابتداء "**لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**" ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام؛ ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا لأنهم كانوا خلقا كثيرا وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهرا لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبين له أنهم هم.

[164] تأمل –بارك الله فيك– في أنه لو أدركه قتله "**ساجدًا**" "**يصلي**"؛ فهي خاتمة في ظاهرها حسنة–وعادة الخوارج قديما وحديثا التغني بالظواهر والخواتيم!– ،ولكن أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أنهم "**شر الخلق والخليقة**" "**شر قتلى تحت أديم السماء**" "**كلاب أهل النار**"... إلخ، فلا تغتر بالظواهر طالما كان المنهاج منهاج سوء.

[165] الآجري في الشريعة (٥٠)، ومعجم ابن المقرئ (٤١١)، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٢٤٩٩)، وقال: إسناده صحيح، وعند أبي نعيم في الحلية (٣/٢٥٠)، والبزار (كشف الأستار ١٨٥١)، وانظر مجمع الزوائد (١٠٣٩٩، ١٠٤٠٠، ١٠٤٠١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: "كنا جلوسا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها عليٌّ يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضينا معه، ثم قام ينتظره، وقمنا معه، فقال: "**إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلتُ على تتريله**، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: **لا، ولكنه خاصف النعل** -يعني عليا رضي الله عنه-" قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه"[١٦٦].

وقد حذر منهم صلى الله عليه وسلم بوصفهم الكاشف لهم بقطع النظر عن اسمهم ونسبتهم، ليعم الحكم كل من تلبس بما كان سببا في هذا الحكم، أيا كان اسمه أو نسبته، فعن أبي سلمة، وعطاء بن يسار: أهما أتيا أبا سعيد الخدري، فسألاه عن الحرورية: أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**يخرج في هذه الأمة** -ولم يقل منها- **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، -أو حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة، هل علق بها من الدم شيء؟**"[١٦٧].

وكان من أسباب ضلالهم وانحرافهم أهم يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه فعن مقْسمٍ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلابٍ اللَّيْثى، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاصي، وهو يطوف بالبيت، معلقًا نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرْت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- حين يكلمه التّمِيميُّ يومَ حُنين؟ قال: نعم، أقْبَلَ رجل من بني تميم، يقال له: ذو الخُوَيْصِرة، فوقف على رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وهو يعطي الناس، قال: يا محمَّد، قد رأيت ماَ صنعت في هذا اليوم؟، فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "**أجَلْ، فكيفَ رأيتَ؟**"، قال: لَمْ أرَكَ عدلتَ!

---

١٦٦ أخرجه النسائي في "خصائص علي" (ص: ٢٩)، وابن حبان (٢٢٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٧).

١٦٧ أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٩٣١).

قال: فغضب رسول الله -صلي الله عليه وسلم-، ثم قال: "**وَيْحَكَ، إن لم يَكنِ العدلُ عندي فعنْدَ من يكون؟**"، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا تَقتلُهُ؟، قالَ: "**لا، دَعُوه، فإنه سيكون له شيعة يَتَعَمَّقون في الدين، حتى يخرجوا منه، كما يخرج السَّهم من الرَّمِيَّة، يُنْظر في النَّصْل فلا يُوجد شيءٌ، ثمْ في القدْحِ فلا يُوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سَبَقَ الفَرْث والدَّم**"[١٦٨].

ومن أسباب ضلالهم أنهم قوم يقابلون النصوص بآرائهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة، كما فعل كبيرهم وجدهم الأول ذو الخويصرة التميمي لما قابل فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعقله ورأيه فقال اعدل!، وبهذا كان يعرفهم الصحابة رضي الله عنهم فعن معاذة، أن امرأة سألت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟. فقالت: أحرورية أنت؟ قالت: لست بحرورية، ولكني أسأل. قالت: "كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة"[١٦٩].

وأما الانتشار فكان في الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وكان ذلك في عهد علي رضي الله عنه حتى أعلن الخوارج ذلك في سنة سبع وثلاثين هجريا وهو أول افتراق معلن في الأمة وكان ذلك في العراق، وهم باقون فيها يخرجون بين الحين والآخر كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج في عراض آخرهم الدجال، وقد أخبر عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مستقبل المشرق يقول: "**ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**"[١٧٠]

وعن يسير بن عمرو، قال: دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يذكر قوما يخرجون من هاهنا** -وأشار بيده نحو

---

[١٦٨] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٧٠٣٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[١٦٩] أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٣٢١)، ومسلم في صحيحه برقم: (٣٣٥) واللفظ للإمام مسلم.

[١٧٠] أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٠٩٣)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٩٠٥).

العراق[١٧١]- **يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**" قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه"[١٧٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه**"، قيل ما سيماهم؟ قال: "**سيماهم التحليق -أو قال: التسبيد-**"[١٧٣].

وفي رواية أبي داود "**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم**" قالوا يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: **التحليق**"[١٧٤].

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن بعدي من أمتي -أو سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرءون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**"[١٧٥].

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو**

---

١٧١ نعم صحيح بارك الله فيك!، هو ما خطر ببالك، فالفتن تخرج من جهة المشرق "العراق" وما حولها!، وقد وقع ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، فنحن نرى الفتن تخرج اليوم بعد اليوم من المشرق ،حتى يخرج الدجال في عراضهم من جهة المشرق أيضا، ومن آخر ما رأينا هذه الفتنة التي نحن بصددها الآن!؛ فهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

١٧٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٩٧٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

١٧٣ أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٥٦٢).

١٧٤ أخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٤٧٦٥)، وصححه العلامة الالباني -رحمهما الله-.

١٧٥ أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٠٦٧).

يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها[١٧٦]**، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**"[١٧٧].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم **أن آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس**"[١٧٨].

وقد وقع ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم كما أخبر، فقد أخرج الإمام مسلم –رحمه الله– عن عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناسا، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، "**يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم،** -وأشار إلى حلقه- **من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود، إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي**" فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال: ارجعوا فوالله، ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ، مرتين أو ثلاثا، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم"، زاد يونس في روايته: قال بكير: وحدثني رجل عن ابن حنين أنه، قال: رأيت ذلك الأسود"[١٧٩].

---

١٧٦ قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٤٤/٤) ط/الخانجيّ عن الأزارقة من الخوارج :"...وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء أيضا ممن ليس في عسكرهم"اهـ، ولذلك أحفادهم من الخوارج المعاصرين يبيحون التفجيرات رغم أنها تقتل من ليس أهلا للقتل كالنساء والشيوخ والذرية ،بل ويصرحون بجواز قتل النساء والشيوخ والذرية كما في فتوى أبي قتادة الفلسطينيّ وهو من منظري التكفير والتفجير في العصر الحديث (مجلة الأنصار العدد ٩٠ ص ١٠)، وليس عنا ببعيد أحداث الجزائر في التسعينات من القرن الماضي ولا أحادث سوريا والعراق الآن نسأل الله أن يسلم المسلمين من كل مكروه وسوء.

١٧٧ أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٨٤٨).

١٧٨ متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: (٣٦١٠)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

١٧٩ أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٠٦٦).

والذي قال: "لا حكم إلا لله" هما زرعة بن البرح الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج، وذلك لما امتنع علي عن موافقتهما على نقض العهد، فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله.

فقال علي: بؤسا لك، كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح قال: لوددت لو كان ذلك، وخرجا من عنده يناديان: "لا حكم إلا لله".

وخطب علي يوما كاملا فتنادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة، فقال على: "الله أكبر، كلمة حق أريد بها باطل"[١٨٠].

وعن سلمة بن كهيل قال: حدثني زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**"، لو يعلم الجيش الذين يصيبوهم، ما قضي لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم، لاتكلوا عن العمل، "**وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض**" فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم[١٨١] وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس[١٨٢]، فسيروا على اسم الله.

---

١٨٠ انظر: تاريخ ابن خلدون (١١١٨/٢).

١٨١ هذا دأب الخوارج قديما وحديثا قتل الأطفال "أطفال المسلمين"!، انظر مقالات الإسلاميين للأشعريّ ص١٧٠ ت محي الدين عبد الحميد .

١٨٢ لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى !! وانظر إلى أبي بكر البغداديّ في كلمة صوتية بعنوان "ولو كره الكافرون" يقول: "يا جنود الدولة الإسلامية امضوا في حصاد الأجناد، فجروا براكين الجهاد في كل مكان، وأشعلوا الأرض نارا على كل طواغيت الارض وجنودهم وأنصارهم"اهـــ.

قال سلمة بن كهيل: فترلني زيد بن وهب مترلا، حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال: لهم ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر، ثم قال: صدق الله، وبلّغ رسوله، قال: فقام إليه عَبيدة السلمانيّ، فقال: يا أمير المؤمنين، ألله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا، وهو يحلف له"[183]

وقال متحدثهم العدناني في كلمة له بعنوان "إن ربك لبالمرصاد" : "فهيا أيها الموحد.. لا تفوتنك هذه المعركة أينما كنت، عليك بجنود وأنصار الطواغيت وعسكرهم وشرطهم وعناصر أمنهم ومباحثهم وعملائهم، قضِّ مضاجعهم، ونغص عليهم عيشهم، وأشغلهم بأنفسهم.

فإذا قدرت على قتل كافر أمريكي أو أوروبي، وأخص منهم الفرنسيين الحاقدين الأنجاس، أو أسترالي أو كندي، أو غيره من الكفار المحاربين، رعايا الدول التي تحالفت على الدولة الإسلامية، فتوكل على الله، واقتله بأي وسيلة أو طريقة كانت، ولا تشاور أحدا ولا تستفت أحدا، سواء أكان الكافر مدنيا أو عسكريا، فهم في الحكم سواء، كلاهما كافر، كلاهما محارب، كلاهما مباح الدم والمال، فإن الدماء لا تعصم أو تباح بالملابس، فلا الزي المدني يعصم الدم، ولا البزة العسكرية تبيحه، وإنما يعصم الدم ويباح بالإسلام والأمان، ويباح بالكفر، فمن سمي مسلماً، عصم دمه وماله، ومن سمي كافرا، فماله حلال على المسلمين، ودمه مهدور مستباح، دمه دم كلب لا إثم فيه، ولا دية عليه... أتدع الأمريكي أو الفرنسي أو أي من حلفائهم يمشي على الأرض آمنا وجيوش الصليب تدك بطائراتها بلاد المسلمين لا تفرق بين مدني أو عسكري ؟!... فإن عجزتَ عن العبوة أو الرصاصة، فاستفرد بالأمريكي أو الفرنسي الكافر، أو أي من حلفائهم، فارضخ رأسه بحجر أو انحره بسكين، أو ادهسه بسيارتك أو ارمهِ من شاهق، أو اكتم أنفاسه أو دس له السم، فلا تعجز أو تهين، وليكن شعارك: لا نجوت إن نجا عابد الصليب ناصر الطاغوت.

فإن عجزت فاحرق مترله، أو سيارته أو تجارته، أو أتلف زراعته، فإن عجزت، فابصق في وجهه! فإن أبت نفسك ذلك وإخوانك يقصفون ويقتلون، وتستباح دماؤهم وأموالهم في كل مكان، فراجع دينك ! فإنك على خطر عظيم ؛ لأنه لا يقوم الدين بغير الولاء والبراء".

[183] أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (١٠٦٦).

ثم ذهب إليهم ابن عباس ليناظرهم ويبطل حججهم فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وأصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– معه.

قال: فجعل الرجل يأتيه يقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك. قال: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلمهم، فقال علي: أخشى عليك منهم، قال: قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذي أحدا.

قال: فلبست أحسن ما يكون من اليمنية وترجلت ثم دخلت عليهم وهم قائلون[١٨٤]، فقالوا لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾الأعراف: ٣٢ولقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يلبس أحسن ما يكون من اليمنية، فقالوا لا بأس، فما جاء بك؟

فقلت: أتيتكم من عند صاحبي، وهو ابن عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وختَنه، وأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم — أعلم بالوحي منكم، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم، فما الذي نقمتم؟ فقال بعضهم: إن قريشا قوم خصمون، قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: ٥٨.

فقال بعضهم: كلموه، فانتحى لي رجلان منهم أو ثلاثة، فقالوا: إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا، فقلت: بل تكلموا، فقالوا: ثلاث نقمناهن عليه، جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾الأنعام: ٥٧.

فقلت: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأرنب، وفي المرأة وزوجها: ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ النساء: ٣٥أفخرجت من هذه؟

---

[١٨٤] من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، يقال "قال يقيل قيلولة؛ فهو قائل".

قالوا: نعم، قالوا: وأخرى محا نفسه أن يكون أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فأمير الكافرين هو.

وقاتل و لم يسب و لم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرم عليه دماؤهم.

فقلت لهم: أرأيتم إن قرأتُ من كتاب الله عليكم وجئتكم به من سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: قد سمعتم أو أراه قد بلغكم، أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لعلي: **اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله** –صلى الله عليه وسلم–، فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعلي: "**امح يا علي**" فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفضل من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، أفخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم قتل و لم يَسب و لم يغنم أفتسبون أمكم وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فإن قلتم نعم فقد كفرتم بكتاب الله وخرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، وكلما جئتهم بشيء من ذلك أقول: أفخرجتُ منها: فيقولون: نعم، قال: فرجع منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة"[١٨٥].

وفي أثر أكثر فائدة عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: "قدمت عائشة رضى الله عنها، فبينا نحن جلوس عندها مرجعها من العراق ليالي قتل عليّ رضى الله عنه إذا قالت لي: يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليّ، قلت: ومالي لا أصدقك، قالت: فحدثني عن قصتهم، قلت: إن عليًّا لما أن كاتب معاوية وحكَّم الحكمين **خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس،** فنزلوا أرضا من جانب الكوفة يقال لها: حروراء، وإنهم أنكروا عليه، فقالوا: انسلختَ من قميص ألبسكه الله وأسماك به، ثم انطلقتَ فحكَّمتَ في دين الله، ولا حكم

---

١٨٥ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣١٨) والبيهقي في الكبرى (٨/١٧٩)، وغيرهم.

إلا لله، فلما أن بلغ عليًّا ما عتبوا عليه وفارقوه، أمر فأذن مؤذن: لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأ من قراء الناس الدار، دعا بمصحف عظيم فوضعه عليّ رضي الله عنه بين يديه فطفق يصكه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو ورق ومداد، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله عز وجل في امرأة ورجل ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ النساء: ٣٥ فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أني كاتبت معاوية وكتبت على بن أبي طالب، وقد جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: **بسم الله الرحمن الرحيم،** فقال: سهيل لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قلت: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **اكتبه**، ثم قال: **اكتب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نخالفك، فكتب: **هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا،** يقول الله في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١. فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء فخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله، هذا من نزل فيه وفى قومه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: ٥٨فردوه إلى صاحبه ولا توضعوه كتاب الله عز وجل، قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإذا جاءنا بحق نعرفه اتبعناه، ولئن جاءنا بالباطل لنبكتنه بباطله، ولنردنه إلى صاحبه، فواضعوه على كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب[١٨٦]، فأقبل بهم ابن الكواء

[١٨٦] في رواية ابن عباس رضي الله عنهما السابقة عدد التائبين "ألفان" ،وهنا في رواية عبد الله بن شداد "أربعة ألاف" والجمع ميسور ولله الحمد والمنة، فابن عباس يتكلم عن ابتداء أمر توبتهم، وابن شداد يتكلم عن انتهائه، والعلم عند الله تعالى.

حتى أدخلهم على عليّ رضى الله عنه، فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، قفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزلوا فيها حيث شئتم، بيننا وبينكم أن نقيكم رماحنا ما لم تقطعوا سبيلا وتطلبوا دما، فإنكم إن فعلتم ذلك، فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت عائشة رضى الله عنها: يا ابن شداد فقد قتلهم؟، فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء وقتلوا ابن خباب، واستحلوا أهل الذمة[١٨٧]، فقالت: آلله؟ قلت: آلله الذى لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثون به يقولون: ذو الثدي ذو الثدي؟ قلت: قد رأيته ووقفت عليه مع على رضى الله عنه في القتلى، فدعا الناس فقال هل تعرفون هذا فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بنى فلان يصلي، ورأيته في مسجد بنى فلان يصلي، فلم يأتوا بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قالت: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: فهل سمعت أنت منه قال غير ذلك؟ قلت: اللهم لا، قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله عليا، إنه من كلامه كان لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله"[١٨٨].

وعن سعيد بن جمهان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أنهم كلاب النار**"، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: "بل الخوارج كلها". قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي

---

١٨٧ نعم أيها القارئ اللبيب نعلم أن ذاكرتك تلح عليك بالرجوع إلى ما قاله أبو عمر البغدادي في عقيدتهم من قوله: "**الثاني عشر**: نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمن والأمان فعليهم أن يحدثوا عهدا جديدا مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها".

١٨٨ أخرجه الحاكم (٢/١٥٢ــ١٥٤) وعنه البيهقي (٨/١٧٩ــ١٨٠) وأحمد (١/٨٦ ــ٨٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٤٥٩).

فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: "ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك، فأته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه"[189]

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال: سمعت أبا غالب يقول: لما أتي برءوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق، جاء أبو أمامة فلما رآهم دمعت عيناه فقال: **"كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء"**. قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام. قال: قلنا: أبرأيك قلت: هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لجريء بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاث قال: فعد مرارا"[190].

وفي رواية عند ابن ماجه عن أبي أمامة يقول: **"شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا كلاب أهل النار"** قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفارا. قلت: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[191].

فإذا علمت النشأة والانتشار فاعلم أن هؤلاء لهم وارثون في كل زمان إلى قيام الساعة يتصفون بما يتصف به هؤلاء الخوارج الأول وأنهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في عراضهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في أعراضهم الدجال"**[192].

---

[189] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٩٤١٥).

[190] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٢٢١٨٣).

[191] سنن ابن ماجه (١٧٦) وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٣٥٥٤)..

[192] أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٥٥).

و عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"**[193].

وهؤلاء جميعا في كل زمان ومكان تجمعهم صفات واحدة من أهمها: اتباعهم للمتشابه فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧، قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **"فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"**[194].

قال سعيد بن جبير: "أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويقرءون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون[195]هذه الآية"[196].

[193] أخرجه الترمذي في سننه (٢١٨٨)، وغيره، وصححه الألباني.

[194] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٤٢٧٣)، ومسلم في صحيحه، برقم: (٢٦٦٥).

[195] قال الشاطبي في الاعتصام (٢/ ٤٩) ط:ابن الجوزي السعودية: "ويمكن أن يكون من خفي هذا الباب-الجهل بكلام العرب-: مذهب الخوارج في زعمهم أنه لا تحكيم للرجال؛ استدلالا بقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾،

فانظر إلى هذا الوفاق العجيب من هؤلاء الخوارج في أول الأمة وفي آخرها، فما قاله صلى الله عليه وسلم في ذي الخويصرة وفي أتباعه وأصحابه، هو هو ما قاله في خوارج آخر الزمان، وعليه فإن هؤلاء الخوارج تجمعهم صفات مشتركة في كل زمان ومكان، وإن من المهم جدا أن نبين ما هي الصفات المشتركة بين الخوارج قديما وحديثا؟، ومن المعين على ذلك معرفة مقالاتهم وأرائهم أولا، وبالله التوفيق.

فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يلحقه تخصيص، فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾، وقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾، وإلا فلو علموا تحقيقا قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص؛ لم يسرعوا إلى الإنكار، ولقالوا في أنفسهم: لعل هذا العام مخصوص! فيتأولون. وفي الموضع وجه آخر مذكور في موضع غير هذا. وكثيرا ما يوقع الجهل بكلام العرب في مخاز لا يرضى بها عاقل، أعاذنا الله من الجهل والعمل به بفضله. فمثل هذه الاستدلالات لا يعبأ بها، وتسقط مكالمة أصحابها"

[196] أخرجه الآجري في الشريعة (٤٤).

مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه:

إن الخوارج على اختلاف مقالاتهم أجمعوا على أصل واحد وهو: كفر من حكم بغير ما أنزل الله ووجوب الخروج عليه[١٩٧] وأن قتاله أولى من قتال الكفار الأصليين.

قال شيخ الإسلام بعد ذكر حديث الخوارج: "فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا، ثم يرتبون على الكفر أحكاما ابتدعوها.

فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية وفي الصحيحين في حديث أبي سعيد: "**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**" وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ **فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة –لاعتقادهم أنهم مرتدون– أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره**"[١٩٨].

قال عبد القاهر البغداديّ، بعد ذكر بعض الخوارج الذين لا يكفرون بالذنوب: "وفى هَذَا بَيَان خطأ الكعبيّ فِي حكايته عَن جَمِيع الخوارج تَكفِير أصحَاب الذُّنوب كلهم مِنْهُم ومن غَيرهم، وإِنَّما الصَّواب فِيمَا يجمع الْخَوَارِج كلهَا مَا حكاه شيخنا أبو الحسن رَحمَه الله من تكفيرهم عليًّا وعثمان وأصحاب الْجمل والحكمين وَمن صوبهما أوْ صوب أحدهما أَو رضى بالتحكيم"[١٩٩].

---

[١٩٧] انظر: مقالات الإسلاميين، ص:١٦٧،٢٠٤، ت: محي الدين عبد الحميد، والفرق بين الفرق، ص: ٥٥، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

[١٩٨] مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧).

[١٩٩] الفرق بين الفرق، ص:٥٥.

قال أبو الحسن الأشعريّ : "جماع رأي الخوارج :أجمعت الخوارج على إكفار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن حكَّم..."[٢٠٠] فالعلة "التحكيم" "الحاكمية" لا عليّ نفسه والعلة تدور مع الحكم وجودًا وعدمًا، وعليه من كفّر بالحاكمية والحكم؛ فهو خارجيّ وإن لم يكفر عليًّا رضي الله عنه.

فالعامل المشترك بين الخوارج جميعًا هو مسألة **الحكم والتحكيم**، ولذلك تأمل أيها القارئ اللبيب في أن الخوارج كانوا قوما من المسلمين لا فرق بينهم وبين إخوانهم بل كانوا يسمون بالقراء فلما جاءت قضية التحكيم كفَّروا بها وانحازوا إلى حروراء وخرجوا فصاروا بذلك خوارج وأنزل عليهم عليّ والصحابة رضي الله عنهم أحاديث الخوارج و لم يكن منهم حينها غير قضية التكفير بالتحكيم فانتبه لهذا جيدًا وتذكر ما مضى ذكره من أصل الأصول عند داعش!، ومن سبقها من القطبيين.

وأما التكفير بالكبيرة فإن الخوارج قد اختلفوا في ذلك، فإن "النجدات"[٢٠١] من الخوارج لا يكفرون بالكبيرة!، و لم يحكموا لمرتكب الكبيرة بالخلود في النار، إلا مع الإصرار فمن أصر فقد كفر، ومن لم يصر وإن زنى وسرق وشرب الخمر فمسلم[٢٠٢]، واعجب أن النجدات تعذر بالجهل أيضا![٢٠٣]، والإباضية أيضا لا تكفر مرتكب الكبيرة

---

٢٠٠ مقالات الإسلاميين ص١٧٧.

٢٠١ انظر مقالات الإسلاميين، ص:١٦٨، والفصل في الملل والنحل(١٤٥/٤).

٢٠٢ وهذا هو عين قول أبي إسحاق الحوينيّ؛ فهو خارجيّ؛ يقول: "إن المصر مستحل" فكفر المصر على الكبيرة كما كفرته النجدات، فهو من هذه الجهة من النجدات، ومن جهة أخرى هو من الخوارج القعدة حيث إنه يهيج على الحكام ويزين الخروج عليهم، ولا يباشره بنفسه!.

٢٠٣ قال الأشعريّ في مقالاته ص١٧٥ :"وعذروا -أي النجدات- بالجهالات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل وقالوا: **الدين أمران** :أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة؛ فهذا واجب، **وما سوى ذلك** فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال فمن استحل شيئًا من طريق الاجتهاد مما لعله محرم؛ فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه"أ.هـ؛ ففرقوا بين الأصول والفروع في باب التكفير ولعلهم سبقوا في هذه الضلالةِ المعتزلةَ؛ وهنا لنا وقفتان: الأولى :أن من يفرق بين الأصول والفروع أو التوحيد والأحكام ونحو ذلك في التكفير والعذر بالجهل سلفه الخوارج والمعتزلة كالحازميّ والجربوع ومن لف لفهما.

كفر ملة وإنما كفر نعمة[٢٠٤] ومع ذلك كله فهم خوارج، لشيء واحد تكفيرهم الحاكم وخروجهم عليه.

وأما قتال المسلمين جميعًا واستحلال دمائهم، فليس الخوارج جميعًا على هذا الأصل، بل من الخوارج من يرى قتال السلطان خاصةً ومن رضي بحكمه؛ فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعان عليهم أو طعن في دينهم أو صار عونًا للسلطان أو دليلًا له، ولا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتى يبعث الحرب، وهم الحمزية، والميمونية من العجاردة [٢٠٥].

ومن الخوارج العجاردة فرقة تسمى "الأخنسية" يتوقفون عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام، وأهل القبلة، إلا من قد عرفوا منه إيمانًا فيتولونه عليه، أو كفرًا فيتبرءون منه لأجله، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر[٢٠٦].

ومنهم الإباضية " زعمزا أن الدار –يعنون دار مخالفيهم – دار توحيد، **إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر...**"[٢٠٧].

الثانية: أن قول هاني السباعي–وهو من ضلال الخوارج اللاجئين –كعادة الخوارج دائما– إلى بلاد الكفار– في ردّه على أبي محمد العدنانيّ محاولةً لتبرئة جماعته من القول بعدم العذر بالجهل؛ لا ينفعه؛ إذ أصل الخوارج الأصيل الحاكمية والخروج، ولو زعموا العذر بالجهل.

٢٠٤ مقالات الإسلاميين، ص: ١٨٤، والملل والنحل (١٣٥/١).

٢٠٥ مقالات الإسلاميين، ص: ١٧٧، والملل والنحل للشهرستاني، (١٢٩/١)ط: الحلبي، ولعلك تذكر ما قاله أبو عمر البغداديّ الأمير الأول لتنظيم الدولة، وما ذكره في عقيدهم، قال: "الحادي عشر: نرى وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهما من مسميات كحماية المنشئات النفطية وغيرها، ونرى وجوب هدم وإزالة أي مبنى أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقرا له".

٢٠٦ مقالات الإسلاميين، ص: ١٨٠، والملل والنحل (١٣٢/١)، ولعلك تذكر بذلك جماعة شكري مصطفى "التكفير والهجرة"، أو "التوقف والتبين"، فحقا لكل قوم وارث!!.

٢٠٧ وعليه فلا يغتر بقول بعض خوارج العصر: **لا نكفر سوى الجيش أو الجيش والشرطة ومن عاونهم** ؛كالخارجيّ ! محمد عبد المقصود المصريّ؛ مع أنه بارك الديمقراطية، والحكم بغير ما أنزل الله إبان حكم الإخوان لمصر –حرسها الله من كل مكروه وسوء–، ولا يغرنّك قول رأس من رؤوس الخوارج أبي عمر البغداديّ، يقول: "عاشرا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي

وقالوا: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنمية أموالهم من السلاح والكُراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام. وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجة[٢٠٨].

ومن الخوارج "الصفريةُ الزيادية" أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة، والنجدات، والإباضية[٢٠٩]في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد وقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقة، والقذف، فيسمى زانيًا، سارقًا، قاذفًا، لا كافرا مشركا[٢١٠]، وقالوا: الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان. والكفر كفران[٢١١]، كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية. والبراء براءتان، براءة من أهل الحدود، سنة؛ وبراءة من أهل الجحود فريضة[٢١٢].

ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي..."أ.هـ، ففاق الإباضية ضلالا ؛إذ جعلت الإباضية الديار" دار توحيد، **إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر**"، وهؤلاء جعلوها جميعا ديار كفر!!..

٢٠٨ مقالات الإسلاميين للأشعريّ ص ١٨٥،والملل والنحل (١٣٤/١)، وعليه فلا اغترار بقول أبي عمر البغدادي في : "رابعا:...لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه".

٢٠٩ وهذا الخلاف لم يخرجهم عن كونهم جميعًا خوارج!؛ فالخلاف الدائر بين هذه الجماعات التكفيرية والفصائل الخارجية؛ كالإخوان والقطبيين والقاعدة والنصرة وداعش وغيرهم لا يخرجهم عن كونهم جميعا خوارج.

٢١٠ ولذلك فإن محاولة أبي عمر البغدادي فيما ذكر من عقيدتهم أن ينجو بجماعته وتنظيمه من الاتصاف بالخارجية، لم تفلح، ذلك أنه ليس من شرط في الخوارج أن يكفروا الزاني وشارب الخمر وآكل الربا ونحوه، وإنما الأصل الحاكمية والخروج كما سبق.

٢١١ فقول الدواعش أو غيرهم من خوارج العصر أن الكفر كفران غير مخرج لهم عن دائرة الخوارج؛ طالما يقولون بالخروج على ولاة الجور ويكفرون بالحاكمية؛ فتدبر ذلك ولا تغفل عنه!.

٢١٢ الملل والنحل (١٣٧/١)، والفرق بين الفرق، ص: ٧٠.

فالخوارج مع اجتماعهم واتفاقهم على أصل تكفير الحكام والخروج عليهم، فقد كان بينهم اختلافات، وكان بعضهم يطعن في بعض، ويرمى بعضهم بعضًا بالضلال؛ تارةً وبالكفر تاراتٍ، وكانوا يخرجون في أماكن متفرقة، وكان لكل جماعة، أو(فرقة) منهم فكرها واسمها الخاص بها وبيان ذلك كما يلي[213].

كانت الخوارجُ تجمعهم ضلالةٌ واحدةٌ تكفيرُ عليٍّ ومعاويةَ والحكمَين رضي الله عنهم ومن رضي **بالتحكيم** من أجل **التحكيم** كما مرّ ذكره،، **ولهذا سموا بالمُحَكِّمة**، فإنهم لما رجعوا إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء؛ كعادة الخوارج في الانحياز والبعد عن المسلمين في الأماكن النائية والبعيدة لا سيما الصحاري والجبال[214]، ثم رفعوا شعارهم لا حكم إلا لله، ولهذا سموا **الحرورية** نسبةً إلى المكان، و**المحكمة** نسبة إلى مقالتهم، ثم فرقتهم الضلالات وأول من أحدث الخلاف بينهم **نافع بن الأزرق** والذي أحدثه البراءة من القعدة[215]

---

[213] وانظره مفصلا في كتب التواريخ، وكتب المقالات والفرق، وقد نقلنا منها ما تراه أعلاه.

[214] ذكر ابن كثير –رحمه الله– في البداية والنهاية (٣١٦/٧) ط إحياء التراث: "اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: **فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال**، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة" أ.هـــ.

فتدبر هذا وأنت تراهم يعتزلون المجتمعات الآن في الجبال والصحراوات!، ومن عاش منهم بين المسلمين؛ فإنه يعتزلهم شعوريًا؛ يقول سيدهم وقطبهم : "لقد كان الرجل ... يشعر في اللحظة التي يجيئ فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية. وكان يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف الذي يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للإسلام. وبهذا الإحساس كان يتلقى هدي الإسلام الجديد ... كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه تنشأ عنها عزلة كاملة في صِلاته بالمجتمع الجاهلي من حاوله وروابطه الاجتماعية فهو قد انفصل نهائيا من بيئته الجاهلية واتصل نهائيا ببيئته الإسلامية، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل شيء آخر ... نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم كل ما حولنا جاهلية .. تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد وثقافتهم فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرا إسلاميا.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية" معالم في الطريق، ص:١٦ : ١٨.

[215] والقعدة من الخوارج هم الذين يزنون الخروج بألسنتهم ولا يباشرونه بسيوفهم، وقد شابهت داعش في هذا الأزارقة حيث كفرت الإخوان ومن على شاكلتهم، وبرئت منهم، حيث تركوا الجهاد وقعدوا عن القتال

والمحنة لمن قصد عسكره وإكفار من لم يهاجر إليه، و**الأزارقة** تقول: أن كل كبيرة كفر وأن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم وأن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالدًا مخلدًا، ويكفرون عليًّا رضوان الله عليه في التحكيم ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص ويرون قتل الأطفال، وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود والى النصارى أو إلى المجوس، وكانت الأزارقة عقدت الأمر لقطري بن الفجاءة وكان قطري إذا خرج في السرايا استخلف رجلاً وكانت فيه فظاظة فشكت الأزارقة ذلك إليه فقال: لست أستخلفه بعد، ثم إنه خرج في سرية وأصبح الناس في العسكر فصلى بهم ذلك الرجل الفجر فقالوا لقطري: ألم تزعم أنك لا تستخلفه؟ وعاتبوه فقال لهم: جئتموني كفاراً حلال دماؤكم فقام صالح بن مخراق فلم يدع في القرآن موضع سجدة إلا قرأها وسجد ثم قال: أكفاراً ترانا؟ تب مما قلت فقال: يا هؤلاء إنما استفهمتكم![٢١٦] فقالوا: لا بد من توبتك فخلعوه وصار قطري إلى طبرستان فغلب عليها، وكان مما قالوا: ما كف أحد يده عن القتال مذ أنزل الله عز وجل البسط إلا وهو كافر، وزعمت الأزارقة أن من قام في دار الكفر فكافر لا يسعه إلا الخروج.

ثم خرج **نجدة بن عامر الحنفي** من اليمامة في نفر من الناس وأقبل إلى الأزارقة يريدهم فاستقبلهم نفر من أهل عسكر نافع وأخبروه ومن معه بأحداث نافع التي أحدثها وأنهم برئوا منه وفارقوه عليها وأمّروا نجدة بالمقام وبايعوه، وأكفروا من قَالَ بإكفار الْقعدَة مِنْهُم عَن الْهِجْرَة اليهم وأكفروا من قَالَ بإمامة نَافِع، فمكث نجدة زماناً ثم إنه بعث بعثاً إلى أهل القطيف واستعمل عليهم ابنه فقتل وسبى وغنم، فأخذ ابن نجدة وأصحابه عدة من نسائهم فقوموا كل واحدة منهن بقيمة على أنفسهم، فنكحوهن قبل أن يقسمن وأكلوا من الغنائم قبل أن تقسم، فقال نجدة: لم يسعكم ما صنعتم فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا

واتخذوا منهجا اسموه (السلمية)، وهذا ما صرح به أبو محمد العدناني في رده على أيمن الظواهري في كلمة بعنوان: "عذرا أمير القاعدة"، وكذلك في "السلمية دين من؟".

[٢١٦] وهذا منهج مشاهد من الخوارج حديثا للنجاة من الورطات، أن يكذبوا كما فعل أبو محمد العدناني لما سقط في يد أيمن الظواهري في مسألة تبعية الدولة لتنظيم القاعدة، وقد مضى بيانه أكثر من مرة.

فعذرهم نجدة بجهالتهم فتابعه على ذلك أصحابه **وعذروا بالجهالات** إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل، وقالوا: **الدين أمران** أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام **وتحريم دماء المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب**، والإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحلال فمن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله محرم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه، وزعموا أن **من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثم أصر عليها فهو مشرك، وأن من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم**، ويقال أن أصحاب نجدة نقموا عليه أن رجلاً من بني وائل أشار عليه بقتل من تابعه من المكرهين فانتهره نجدة، ونقم على نجدة عطيةُ أنه أنفذه في غزو البر وغزو البحر ففضل من أنفذه في غزو البر، ونقم عليه أصحابه أنه عطل حد الخمر، فاستتابه أصحابه ففعل ثم إن طائفة منهم ندموا على استتابته وقالوا له: إن استتابتنا إياك خطأ لأنك إمام وقد تبنا فإن تبت من توبتك واستتبت الذين استتابوك وإلا نابذناك، فخرج إلى الناس فتاب من توبته فافترق عَلَيْهِ أَصْحَابه وخلعه أكثرهم وَقَالُوا لَهُ اختر لنا إِمَامًا فَاخْتَارَ أَبَا فديك، وَصَارَ رَاشد الطَّوِيل مَعَ أَبِي فديك يدا وَاحِدَة فَلَمَّا استولى أَبُو فديك على الْيَمَامَة علم أن أَصْحَاب نجدة إذا عَادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الْإِمَارَة فَطلب عَبده لِيَقْتُلُهُ فاختفى نجدة فِي دَار بعض عاذريه ينْتَظر رُجُوع عساكره الَّذين كَانَ قد فرقهم فِي سواحل الشَّام ونواحي الْيمن، ونادى منادى أَبى فديك من دلنا على نجدة فَلهُ عشرَة آلَاف دِرْهَم وأي مَمْلُوك دلنا عَلَيْهِ فَهُوَ حر؛ فدلت عَلَيْهِ أمة للَّذين كَانَ نجدة عِنْدهم فأنفذ أَبُو فديك راشدا الطَّوِيل فِي عَسْكَر إليه فكسبوه وحملوا رَأسه الى أَبى فديك، ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبي فديك وتولوا نجدة وتبرءوا من أبي فديك، وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود وهو عامل نجدة بالجوير يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة فقتله **وأنه أحق بالخلافة منه**، فكتب عطية إلى أبي فديك أن يبايع له مَن قِبَله وأبى ذلك أبو فديك فبرئ كل واحد منهما من صاحبه، وصارت الدار لأبي فديك وصاروا معه إلا من تولى نجدة فصاروا ثلاث فرق: **الفديكية** أكفرت نجدة وَصَارَت الى أَبى فديك كراشد الطَّوِيل وأبى بيهس وأبى الشمراخ واتباعهم وَفرْقَة عذرته فِيمَا فعل وهم النجدات، وَفرْقَة من النجدات

بعدوا عَن الْيَمَامَة وَكَانُوا بنَاحِيَة الْبَصْرَة شكوا فِيمَا حكى من أحداث وهم العطوية، ومن **العطوية** أصحاب عبد الكريم بن عجرد ويسمون **العجاردة** وهم خمس عشرة فرقة: والفرقة الرابعة منهم **الحمزية: يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحكمه فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعان عليهم أو طعن في دينهم أو صار عوناً للسلطان أو دليلاً له**، وحكى زرقان أن العجاردة أصحاب حمزة **لا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتى يبعث الحرب**، والفرقة الحادية عشرة من العجاردة وهي الأولى من **الثعالبة** يدعون **الأخنسية يتوقفون عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام وأهل القبلة إلا من قد عرفوا منه إيماناً فيتولونه عليه أو كفراً فيتبرءون منه لأجله**، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر **وأن يبدأ أحد من أهل البغي من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه**، فبرئت منهم الثعلبية وسموهم الأخنسية لأن الذي دعاهم إلى قولهم رجل كان يقال له الأخنس، ومن الخوارج **الصفرية** أصحاب زياد بن الأصفر ... وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية، **وجمهور الإباضية** يزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكحتهم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حرام ما وراء ذلك وحرام قتلهم وسبيهم في السر إلا من دعا إلى الشرك في دار التقية ودان به، **وزعموا أن الدار –يعنون دار مخالفيهم– دار توحيد إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر يعني عندهم، وحرموا دماء مخالفيهم حتى يدعوهم إلى دينهم**، فبرئت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا: إن كل طاعة إيمان ودين وأن مرتكبي الكبائر موحدون وليسوا بمؤمنين، وقالت طائفة من **البيهسية:** إذا كفر الإمام كفرت الرعية وقالت: الدار دار شرك وأهلها جميعاً مشركون، **وتركت الصلاة إلا خلف من تعرف**، وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسبي على كل حال. وقالت البيهسية: الناس مشركون بجهل الدين مشركون بمواقعة الذنوب.

ومن رجال الخوارج ممن لم يذكر أنه خرج ولا له مذهب يعرف به[٢١٧] صالح بن مسرح وداود وكانا يتلاقيان ويحدثان مسائل يقع لها الخلاف بين الخوارج، ثم **كانت لهما في آخر أيامهما خرجة ليست بالمشهورة.**

---

[٢١٧] وهم الخوارج القعدية أو قعد الخوارج؛ قال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٢٣٢)ط/ الكتب العلمية: "الخوارج القعدية- بفتحتين، هم الذين يحسّنون لغيرهم الخروج على المسلمين، ولا يباشرون القتال...وقيل: القعدية لا يرون الحرب، وإن كانوا يزينونه" أ. هـــ، ومنهم الحسن بن صالح "عن زافر بن سليمان: أردت الحج، فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيت أبا عبد الله سفيان الثوريّ بمكة، فأقرأه مني السلام، وقل: أنا على الأمر الأول؛ فلقيت سفيان في الطواف، فقلت: إن أخاك الحسن بن صالح يقرأ عليك السلام، ويقول: أنا على الأمر الأول، قال: فما بال الجمعة، قلت: كان يترك الجمعة، ولا يراها خلف أئمة الجور بزعمه"

وعن أبي نعيم، قال: ذكر الحسن بن صالح عند الثوري، فقال: ذاك رجل يرى السيف على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

قال يوسف بن أسباط: كان الحسن بن حي يرى السيف". سير أعلام النبلاء للذهبيّ، ط/ الرسالة (٧/ ٣٦٣).

وكان زائدة يجلس في المسجد، يحذر الناس من ابن حي، وأصحابه، قال: وكانوا يرون السيف.

قال أبو صالح الفراء: حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه.

يعني: الحسن بن حي؛ فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لِمَ يا أحمق، أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا، فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم" سير أعلام النبلاء ط /الرسالة (٧/ ٣٦٤).

تأمل في موقف السلف من ابن صالح في هجره والتحذير منه وجماعته؛ لأنه يرى السيف على الأمة أي الخروج، ولا يرى الصلاة خلف ولاة الجور؛ لتعلم الموقف السلفيّ من الخوارج وأهل البدع جميعًا.

ولا تغفل عن هذا الأمر العظيم أن من زين الخروج ولم يباشره فهو خارجيّ وما أكثرهم في هذا الزمان، وهم مخانيث الخوارج وأخبث الخوارج روى أبو داود في مسائل أحمد عن عبد الله بن محمد أنه قال: " قعد الخوارج أخبث الخوارج " (ص: ٣٦٢)مكتبة ابن تيمية-مصر.

هذا وإن بين الحسن بن صالح وبين سيد قطب مفاوز ومع ذلك يدافع عنه ويوازن له ولغيره أهلُ البدع وقد كان يكفّر المجتمعات ويحرف الصفات إلى آخر ما أتى من ضلالات؛ ثم هو لا يصلي الجمعة- كالحسن بن صالح- يقول علي عشماوي آخر قادة التنظيم السري في مذكراته ص٦٢:كان سيد قطب لا يصلي الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدئ الموقف فقلت له هي إلى صلاة الجمعة، وقد فوجئت حينا قال لي أنه يرى فقهيا أن صلاة الجمعة تسقط إذ سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة..."، وانظر كلامنا عن الخلافة والإخوان من هذا الكتاب.

وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه إلا أن **الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف**...والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله.

والكور التي يغلب عليها الخارجية: الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواح من نواحي المغرب ونواح من نواحي خراسان[٢١٨].

[٢١٨] انظر الكلام عن الخوارج وفرقهم ومقالاتهم في كل من: مقالات الإسلاميين، الفرق بين الفرق، الفصل بين الملل والنحل لابن حزم، الملل والنحل للشهرستانيّ.

الصفات التي تجمع الخوارج قديما وحديثا مما مر من الأحاديث:

الجهل:

إن من الصفات التي يشترك الخوارج قديما وحديثا في الاتصاف بها، هي صفة الجهل، وعدم وجود العلماء فيهم، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس -رضي الله عنهما- قال لهم: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد"، أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله، فهؤلاء مع قراءتهم للقرآن إلا أنهم لا يفقهونه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "**يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**"[٢١٩]، أي لا يصل إلا قلوبهم، ولا تدركه عقولهم، وإنما حظهم منه بأصواتهم وحروفه!،وفي رواية " **لا يجاوز تراقيهم ولا تعيه قلوبهم**"[٢٢٠] ومعلوم أن الجهاد في سبيل الله مقرون بالعلم، ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ﴾ البقرة: ٢٤٧، وانظر كيف قدَّم بسطة العلم على الجسم؛ لأنه لا جهاد بلا علم، ولأن القوة العلمية في الجهاد مقدمة على القوة الجسدية"[٢٢١] وأما هؤلاء فجهال وهذا الجهل فيهم له عدة صور وأسباب، فمن ذلك:

عدم رضاهم بالسنة:

وهذا ظاهر مما مر معنا من الروايات كما في رواية أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بعث علي رضي الله عنه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: "**إنما أتألفهم**". فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين،

---

٢١٩ "معناه أن قوما ليس حظهم من القرآن الا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم وليس ذلك هو المطلوب بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب" شرح النووي على مسلم (٦/ ١٠٥).

٢٢٠ فتح الباري (٩/ ١٠٠).

٢٢١ مستفاد من كلام الشيخ أبي محمد خالد عبد الرحمن المصري -حفظه الله-.

ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: **"من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني"**، فتأمل كيف رضي أصحاب رسول الله بإجابته صلى الله عليه وسلم، و لم يرض كبير الخوارج، وهكذا الخوارج لا يرضون بسنته صلى الله عليه وسلم فهي مناقضة تماما لما هم عليه من البدعة، لا سيما في أصلهم الذي جمعهم وهو تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم.

قتالهم الصحابة:

إذ من البداهة أن الصحابة رضي الله عنهم هم أولو العلم والفهم وعليه فمن قاتلهم فهم أولو الجهل والعي، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ** ﴾ محمد: ١٦ – ١٧، فوصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم بأنهم أوتوا العلم، وقال سبحانه مخاطبا الصحابة: ﴿ **فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟** ﴾ البقرة: ١٣٧، وعليه فمن وافقهم فقد اهتدى ومن خالفهم فقد ضل وغوى؛ فكيف بمن قاتلهم، فإن لم يكونوا أهل هداية وعلم فهم أهل غواية وجهل، ومن تدبر خطاب القرآن للصحابة رضي الله عنهم وما وصفهم به من العلم والحكمة والهدى وما زكاهم به؛ علم أن مخالفهم هو الجاهل الغشوم الضال؛ فكيف بمن نصب لهم الحروب واستباح دماءهم وأعرضهم.

قد يقول قائل إن خوارج اليوم لا يقعون في الصحابة.

نقول: من يقول ذلك لا يعي أن الطعن في منهاجهم والطعن فيهم؛ سواء إن لم يكن أشد، ولا شك أن هؤلاء بمخالفتهم منهاج الصحابة واستقلالهم بفهم القرآن دون فهمهم مع زعمهم أنهم أهل الحق والطائفة المنصورة، قادحون في الصحابة ومنهاجهم.

قتال الصحابة –رضي الله عنهم– للخوارج على تأويل القرآن:

كما مر في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: "**إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلتُ على تتريله**" فقد شبه قتال الخوارج على التأويل بقتال الكفار على التتريل والكفار أهل جهل وضلال ولذا سمي رأسهم بأبي جهل، وقتال النبي على التتريل كان قتال حق لباطل، فقتال علي على التأويل قتال حق لباطل، وإذا كان كذلك فهو من الجهاد في سبيل الله، ومن المعلوم أن من منهج النبيّ صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة وإرشادهم، أن يربط ما يشاهدونه واقعا وحسا بما يريد أن يرشدهم إليه[٢٢٢]، ولذلك فلا شك أن ثمة علاقة بين خصف عليّ –رضي الله عنه– النعل وبين قتاله للخوارج على التأويل، فالنعل رمز للأثر، والخصف الاهتمام به علما وعملا ودعوة وهؤلاء هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وهم أهل الأثر عن أبي هريرة أنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ فقال: "**أنا والذين معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر**" ثم كأنه رفض من بقي[٢٢٣].

أو أن إصلاح عليّ –رضي الله عنه– للنعل كإصلاحه لفساد الخوارج وهو ينبئ عن حقيقة هؤلاء، وقدرهم الوضيع![٢٢٤].

---

٢٢٢ كما في قصة المرأة التي فقدت طفلها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: "**أترون هذه طارحة ولدها في النار**" قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**" متفق عليه، وكما في وصفه الدنيا بجيفة جدي أسك عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق، داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: "**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**" فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: "**أتحبون أنه لكم؟**" قالوا: والله لو كان حيا، كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: "**فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم**" رواه مسلم (٢٩٥٧)، وغير ذلك كثير لمن تأمل أحاديث البشير النذير صلى الله عليه وسلم.

٢٢٣ أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٩٧ و٣٤٠)، وحسنه الألباني –رحمه الله– في الصحيحة (١٨٣٩).

٢٢٤ ولذلك في حديث الافتراق قال: "**حذو النعل بالنعل**".

ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

ومن جهلهم أنهم يترلون آيات نزلت في الكافرين على المؤمنين كما قال ابن عمر: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين"[٢٢٥].

فعن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج[٢٢٦]، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر ابن عبد الله يحدث القوم، جالس إلى سارية، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٩٢، و ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ السجدة: ٢٠، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: "فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام -يعني الذي يبعثه الله فيه-؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومر الناس عليه، - قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك - قال: غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: -يعني- فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد"[٢٢٧].

---

[٢٢٥] ذكره البخاري معلقا مجزوما به في باب "قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم".

[٢٢٦] ولا تغفل عن هذه الفائدة أخي الكريم، فإن للخوارج أراء مختلفة وهم فرق شتى، اختلفوا على مقالات وأراء وجمعهم أصل واحد كما سبق هو التكفير بالحكم (الحاكمية)،ولا يزال أهل البدع في شقاق وافتراق؛ قال- تعالى:﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٣٧، فمن تولى عن منهاج الصحابة رضي الله عنهم فقد شاققهم وفارقهم ،ثم هم بعد ذلك أنفسهم في شقاق واختلاف وافتراق.

[٢٢٧] أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٩١).

وذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم بسنده إلى يزيد الفقير قال: جلست إلى جابر بن عبد الله، وهو يحدث، فحدث أن أناسا يخرجون من النار -قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجب من الناس، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد! تزعمون أن الله يخرج ناسا من النار، والله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ المائدة: ٣٧، فانتهرني أصحابه، وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل، إنما ذلك للكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قد جمعته قال: أليس الله يقول: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩ فهو ذلك المقام، فإن الله يحتبس أقواما بخطاياهم في النار ما شاء، لا يكلمهم، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم. قال: فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به[٢٢٨].

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: "**يخرج الله قوما من النار فيدخلهم الجنة**" فقال له رجل إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ المائدة: ٣٧؟! فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاما هذه للكفار اقرأوا ما قبلها ثم تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ المائدة: ٣٦ - ٣٧ هذه للكفار"[٢٢٩].

وعن طلق بن حبيب، قال: كنت من أشد الناس تكذيبا بالشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية ذكرها الله عز وجل فيها خلود أهل النار، فقال: يا

---

٢٢٨ تفسير ابن كثير (٣/١٠٦) ط: طيبة.

٢٢٩ صحيح ابن حبان (٧٤٤٠)، وصححه الألباني -رحمهما الله- في الصحيحة (٣٠٥٥).

طلق، أتراك أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فاتضعت له، فقلت: لا والله، بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنته مني، قال: فإن الذي قرأتَ أهلُها هم المشركون، ولكنْ قومٌ أصابوا ذنوبا، فعذبوا بها، ثم أخرجوا، صمتا -وأهوى بيديه إلى أذنيه- إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يخرجون من النار**"، ونحن نقرأ ما تقرأ"[٢٣٠].

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**" قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: "**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**" فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ، قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾الأنفال: ٣٩؟ فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة"[٢٣١]

وعن سعيد بن جبير، قال: خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثا حسنا، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾الأنفال: ٣٩ فقال: هل تدري ما الفتنة، ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك"[٢٣٢].

---

[٢٣٠] مسند أحمد ط الرسالة برقم (١٤٥٣٤) ورواه ابن حبان (٢٨٣/٩).وانظر صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٠٥).

[٢٣١] أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٩٦).

[٢٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٠٩٥).

وعن عمران بن الحصين قال: أتى نافع بن الأزرق وأصحابه فقالوا: هلكت يا عمران. قال: ما هلكت[٢٣٣]. قالوا: بلى. قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال الله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾الأنفال: ٣٩، قال: قد قاتلناهم حتى نفيناهم فكان الدين كله لله، إن شئتم حدثتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: وأنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين فلما لقوهم قاتلوهم قتالا شديدا، فمنحوهم أكتافهم فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح، فلما غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله إني مسلم. فطعنه فقتله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت. قال: "**وما الذي صنعت؟**" مرة أو مرتين، فأخبره بالذي صنع، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه!**" قال: يا رسول الله لو شققت بطنه لكنت أعلم ما في قلبه. قال: "**فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه**" قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات فدفناه، فأصبح على ظهر الأرض، فقالوا: لعل عدوا نبشه. فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض، فقلنا: لعل الغلمان نعسوا فدفناه ثم حرسناه بأنفسنا، فأصبح على ظهر الأرض فألقيناه في بعض تلك الشعاب... فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "**إن الأرض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله**"[٢٣٤].

---

[٢٣٣] وهذا منهج الأنبياء في الرد على السفهاء الأغبياء!، كما قال الله عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦٠ – ٦١، وقال عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦٦ – ٦٧، وهذه من الدروس التي علينا أن نأتسي بها من منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما ائتسى الصحابة رضي الله عنهم.

[٢٣٤] أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٠)، وحسنه الألباني.

وعن ابن أبزى أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ قال له: أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون؟ قال: بلى! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال: ردّوه عليّ. فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهبْ، ولا تضعها على غير حدِّها"[٢٣٥].

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبزى، عن علي قال: أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: "ارجع ارجع، أي قل: إنما أنزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب"[٢٣٦].

قال سعيد بن جبير: "أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويقرءون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية"[٢٣٧].

[٢٣٥] رواه الطبري في جامع البيان (١١/٢٥٣) برقم: (١٣٠٤٥)، ط: شاكر.

[٢٣٦] تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٠).

[٢٣٧] أخرجه الآجري في الشريعة (٤٤).

يحسبون القرآن لهم وهو عليهم:

كما في حديث علي رضي الله عنه مرفوعا: "**يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم**"، وهذا من عظيم جهلهم، وأظهر الأمثلة على ذلك ما مر من استدلالاتهم بالآيات في غير محلها لا سيما قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ فظنوا أنها لهم على الصحابة، فكانت للصحابة عليهم!، وأيضا الآية التي هي عماد مذهبهم قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، وهم من أبعد الناس عن حكم الله، ومن أكثرهم مخالفة لشرع الله عز وجل، لا سيما في دماء المسلمين و"**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما**"[٢٣٨]، وقد قالوا لعلي: فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله، ... فقال: أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله عز وجل في امرأة ورجل ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ النساء: ٣٥ فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة من امرأة ورجل".

وفي مناظرتهم لابن عباس وقولهم: جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ الأنعام: ٥٧ فقال ابن عباس: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأرنب، وفي المرأة وزوجها: ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ النساء: ٣٥. أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

أحداث الأسنان:

فإن فتنة الخوارج إنما تروج على الشباب الصغار الأغرار؛ فهم وقود فتنتهم، وحطب بدعتهم؛ وانظر جيدا متأملا في وجوه أتباع القاعدة وداعش والإخوان إلى آخر صنوف الخوارج اليوم تجدهم من الشبيبة حديثةٌ أعمارهم؛ كما في حديث ابن مسعود مرفوعا:

[٢٣٨] أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٦٨٦٢).

"**قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام**"، أي غالبهم وفيهم من شيوخ الضلالة ما فيهم! وقد يحمل على جميعهم على أن يكون "الحدث الذي لم يستكمل الأمر بعد، وإن كان ابن ثمانين سنة"[٢٣٩] أوكما قال العثيمين –رحمه الله تعالى- :"لكن هؤلاء سفهاء الأحلام وإن كانوا كبار السن"[٢٤٠]. وقال العينيّ :" أحداث الأسنان جمع حدث بفتحتين وهو صغير السن وقال ابن الأثير حداثة السن كناية عن الشباب وأول العمر ... والحديث الجديد من كل شيء ويطلق على الصغير بهذا الاعتبار والمراد بالأسنان العمر يعني أنهم شباب"[٢٤١].

قال السنديّ: " قوله: "أحداث الأسنان" أي صغار الأسنان، فإنّ حداثة السّنّ محلٌّ للفساد عادة"[٢٤٢].

وهؤلاء أشبه ما يكون بقول وهب بن منبه – رحمه الله-: "كان في بني إسرائيل رجال أحداث الأسنان، قد قرءوا الكتاب وعلموا علما، وأنهم طلبوا بقراءتهم الشرف والمال، وأنهم ابتدعوا بدعا أخذوا بها الشرف والمال في الدنيا فضلوا، وأضلوا كثيرا"[٢٤٣]

وصدق من قال :"الشّباب مظنّة الجهل، ومطيّة الذّنوب"[٢٤٤]، "لأن الحدث أبدًا أو في غالب الأمر غرٌّ لم يتحنك ، و لم يرتض في صناعة رياضة تبلغه مبالغ الراسخين الأقدام في تلك الصناعة ، ولذلك قالوا في المثل :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن *** لم يستطع صولة البزل القناعيسِ "[٢٤٥].

وقد ترى فيهم من يظهر كثرة العبادة والزهادة ونحو ذلك؛ فلا يغرنّك؛ وقد مضى معنا في حديث أنس –رضي الله عنه-: "**كان فينا شاب** ذو زهد وعبادة" فهو شاب

---

٢٣٩ الاعتصام للشاطبيّ (٢/ ٤٧١)

٢٤٠ شرح رياض الصالحين (٥/ ١٥٩).

٢٤١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٨٦).

٢٤٢ حاشية السندي على النسائيّ (٧/ ١١٩).

٢٤٣ مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٦) جامع بيان العلم وفضله، (١/١٤٤).

٢٤٤ انظر التمثيل والمحاضرة (٣٨٢).

٢٤٥ الاعتصام للشاطبي (٢/ ٤٧٠)

حديث السن ويظهر العبادة فقال النبيّ –صلى الله عليه وسلم- **إني أرى على وجهه سفعة من الشيطان**".

سفهاء الأحلام:

وكذلك مما شهدت به النصوص الشرعية على الخوارج –وهو من أعلام النبوة حيث صدقه الواقع في القديم والحديث- سفاهة عقولهم ورداءة أحلامهم؛ قال ابن حجر :"قوله سفهاء الأحلام جمع حلم بكسر أوله والمراد به العقل والمعنى أن عقولهم رديئة قال النوويّ يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل"[٢٤٦].

وقال العينيّ :" قوله: (سفهاء الأحلام) أي: ضعفاء العقول، والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل"[٢٤٧].

وقال أيضا:" قوله: سفهاء الأحلام يعني: عقولهم رديئة، والأحلام جمع حلم بكسر الحاء وكأنه من الحلم بمعنى الأناءة والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء"[٢٤٨].

وقال القاري :"(سفهاء الأحلام) أي ضعفاء العقول والسفه في الأصل الخفة والطيش وسفه فلان رأيه إذا كان مضطربا لا استقامة فيه، والأحلام العقول واحدها حلم بالكسر"[٢٤٩].

وهؤلاء أشبه ما يكون بما جاء في حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "**ضاف ضيف رجلا من بني إسرائيل وفي داره كلبة مجحّ** [٢٥٠] ، **فقالت الكلبة: والله لا أنبح ضيف أهلي. قال: فعوى جراؤها في**

---

[٢٤٦] فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٨٧).

[٢٤٧] عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ (١٦/ ١٤٤).

[٢٤٨] السابق (٢٤/ ٨٦).

[٢٤٩] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٣١١).

[٢٥٠] مجحّ: أي حامل وقرب وقت ولادتها.

بطنها قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحى الله– عزّ وجلّ– إلى رجل منهم: هذا مثل أمّة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها أحلامها"[٢٥١].

ولله درّ الإمام البخاريّ –رحمه الله تعالى– بوّب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ"[٢٥٢].وأطلق و لم يقيد مع أن الحديث :"**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**"، وذلك –والله أعلم– لأن العلة واحدة وهي **صغر السن وسفه العقول** سواء كانوا من قريش أو من غيرها.

ومن نظر إلى الدواعش والقاعدة وغيرها من الخوارج نظرة عجلى! لا أقول متفحصة وجد مصداق ذلك؛ بل شهد شاهد من أهلها على ذلك يقول الخارجيّ أبو قتادة الفلسطينيّ : "وما فعلته جماعةُ (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد –أي جماعة القاعدة– إلى الدم الصريح وإعطاءِ هذا السفكِ للدم الحرام صفةَ الشرعيةِ حيث سنجد فقه (البغاة) كما **أعلن الجاهلُ المركبُ العدنانيُّ**[٢٥٣] **في بيانه هذا**، حيث حذَّر من شق عصا الطاعة، وأن حكمَها الدمُ والقتلُ، بل سنجدُ كلابَ أهلِ النار يكفرون المخالفَ لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعُهم القدماءُ وجماعةُ (الخلافة) ، وسيكونُ هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تَظهر رأسًا بل تتسللُ تباعًا كما رأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة، **إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة على الإمارة والقيادة ثم تحوَّل تباعًا إلى التكفير واستحلال الدماء**، ومن قرأ

---

[٢٥١] أحمد (٢/ ١٧٠) برقم (٦٥٨٨) وقال الشيخ أحمد شاكر: اسناده صحيح

[٢٥٢] صحيح البخاريّ (٩/ ٤٧).

[٢٥٣] وصدق وهو كذوب "كثير الكذب على الشرع وينسب إليه ما ليس منه" ؛ وإذا كان هذا حال المتحدث الرسميّ فكيف بالرعاع الأتباع؟!

تاريخَ الجماعاتِ فلن يتعجبَ من تلبيس الأهواء أدلةَ الشرعِ والدين فهذا أسهلُ ما يأتيه هؤلاء"[254].

ضعف فقههم في الدين:

وكذلك من صفاتهم قديما وحديثا عدم الفقه في الدين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم**"، فلا يفقهون كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عبد البر-رحمه الله- :"لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة، فكانوا قد حرموا فهمه والأجر على تلاوته، فهذا والله أعلم معنى قوله لا يجاوز حناجرهم، يقول: لا ينتفعون بقراءته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته"[255].

وقال أيضا :" وأما قوله يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فمعناه أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تأولوه على غير سبيل السنة المبينة له وإنما حملهم على جهل السنة ومعاداتها وتكفيرهم السلف ومن سلك سبيلهم وردهم لشهاداتهم ورواياتهم تأولوا القرآن بآرائهم فضلوا وأضلوا فلم ينتفعوا به ولا حصلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضغ الذي يبلع ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته"[256]

وقال الشاطبيّ –رحمه الله- :" يعني: أنهم لم يتفقهوا فيه، فهو في ألسنتهم لا في قلوبهم"[257].

[254] ثياب الخليفة ص٨.
[255] التمهيد (٣٢٣/٢٢).
[256] الاستذكار (٢/ ٤٩٩).
[257] الاعتصام للشاطبيّ (٢/ ٤٧١).

وقال أيضا :" فإنهم أخذوا أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه حتى ابتدعوا فيه ثم لم يتفقهوا فيه، ولا عرفوا مقاصده، ولذلك اطرحوا كتب العلماء وسموها كتب الرأي وخرقوها ومزقوا أدمها، مع أن الفقهاء هم الذين بينوا في كتبهم معاني الكتاب والسنة على الوجه الذي ينبغي، وأخذوا في قتال أهل الإسلام بتأويل فاسد، زعموا عليهم أنهم مجسمون وأنهم غير موحدين، وتركوا الانفراد بقتال أهل الكفر من النصارى المجاورين لهم وغيرهم"[٢٥٨].

وشهد شاهد من الخوارج على داعش يقول الخارجيّ أبو قتادة الفلسطينيّ :"إن ما أراده البغداديُّ **إن كان هو صاحبَ الأمر حقًّا في هذا التنظيم** -مع أني في شكٍّ من ذلك- فإن الكثيرَ من الإشارات تدلُّ أن الرجلَ حالُه مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهيمان، **حيث الضعفُ النفسيُّ الذي يحققُ سلاسةَ القيادة لمثل العدنانيِّ وغيره** ممن وصلني عنهم هذه الأخبارُ ومعانيها، أقول إن ما أراده البغداديُّ بإعلان الخلافة قطعُ الطريق على الخلافِ الشديدِ على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، **وخاصة بعد أن تبيَّن كذبُ دعواهم أن لا بيعة في أعناقهم للدكتور أيمن**، والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والرد، إذ يقومُ بدلاً عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب**، فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء"[٢٥٩].

وقال أيضا :" وأهلُ الإسلامِ اليومَ فيهم الكثيرُ ممن يَظنُّ أن هناك الكثيرَ من الإسلام الذي يُمكنُ أن نكتشفَه و لم يكتشفْه الأوائلُ، وهي نزعةٌ سَرَتْ إلى المجاهدين من التيار

---

[٢٥٨] السابق (٣/ ١٥٩).

[٢٥٩] ثياب الخليفة ص٨.

السلفيّ الجديد[٢٦٠]، وهذا يشكل انقطاعًا عن العلم بشقيه المقروء والمسموع، أما المقروءُ فهو القديم وأما المسموعُ فهو الجديد، وبهذا دخل الدخنُ على التيارِ الجهادي، وحيث بيئةُ الجهادِ هي القتلُ والقتالُ فإن الصوتَ المرتفعَ الغالبَ في هذه البيئات إن خلت من العلماءِ هو صوتُ الغلو، ومن عاش تجربةَ الجزائر علم هذا يقينًا، واليومَ نراه في صوت العدنانيِّ وأمثاله"[٢٦١].

لا يوجد فيهم علماء:

لأثر ابن عباس –رضي الله عنهما– قال لهم: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد"، أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسبق قول الخارجيّ أبي قتادة الفلسطينيّ :" والبغداديُّ في حالة سباتٍ شتويٍّ لا يقدرُ على الإجابة والرد، إذ يقومُ بدلاً عنه من يتقنُ الشتمَ والرجمَ، **بل خلتِ الجماعةُ من طالبِ علمٍ شرعيٍّ له ملكةُ الحديثِ بالشرع في هذا الباب**، فإن خرجَ بعضُهم فتحدثَ أتى بالمصائبِ والفواقر، فلم يبقَ إلا علوُّ الصوتِ والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء"[٢٦٢].

٢٦٠ وهذه من أعظم كذباتهم التي يروجون بها بدعهم وضلالاتهم ، وهي أشد خطورة من زعم الأشاعرة أنهم أهل السنة، ولا يزال أهل الباطل ينسبون أنفسهم للحق وأهله؛ وكفى الباطل قبحا أن يتبرأ منه أهله وكفى الحق شرفا أن ينتسب إليه من ليس أهله!.

٢٦١ ثياب الخليفة ص١٠.

٢٦٢ ثياب الخليفة ص٨.

والعلماء هم البدور التي يضيء الله تعالى بها الطريق لعباده فمن ابتعد عنهم و ﴿ أَتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ٢٣.

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم :"...**وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**".

قال أبو الحسن المباركفوريّ :"و(إن فضل العالم) والمراد به من غلب عليه الاشتغال بالعلم على عبادته النافلة. (على العابد) المراد به من غلب عبادته على الاشتغال بالعلم. (كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) شبه العابد بالكواكب؛ لأن كمال العبادة ونورها لا يتعدى منه على غيره. وشبه العالم بالقمر الذى يتعدى نوره ويستضيء به وجه الأرض؛ لأن كمال العلم ونوره يتعدى إلى غيره فيستضيء بنوره المتلقى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي هو شمس العلم والدين، وإنما قيده بليلة البدر لكمال إضاءة القمر فيها وانمحاء الكواكب في شعاعها"[٢٦٣].

يقابلون النصوص بآرائهم وعقولهم:

كما فعل كبيرهم وجدهم الأول ذو الخويصرة التميمي لما قابل فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعقله ورأيه فقال: اعدل!، وبهذا كان يعرفهم الصحابة رضي الله عنهم فعن معاذة، أن امرأة سألت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟.

---

[٢٦٣] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣١٨).

فقالت: أحرورية أنت؟ قالت: لست بحرورية، ولكني أسأل. قالت: "كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة"

يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه:

لحديث عمرو بن العاص مرفوعا: "**سيكون له شيعة يَتَعَمَّقون في الدين، حتى يخرجوا منه**"، فإن هذا التعمق والتكلف بما لم يكلفوا به كان سببا في جهلهم وخروجهم من الدين.

يسفكون الدم الحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**"[٢٦٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا"[٢٦٥] .

وعنه رضي الله عنه: أنه قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله"[٢٦٦] .

ومن طرائف جهلهم:

أن فرقة منهم اسمها النجدات أتباع نجدة بن عامر بعد أن أحدث نجدة هذا أمورًا وَمنها أن عذر اتِّبَاعه بالجهالات استتابه أَكثر أَتْبَاعه من إحداثه وَقَالُوا لَهُ اخْرُج الى الْمَسْجِد وَتب من إحداثك فَفعل ذَلِك ثمَّ ان قوما مِنْهُم ندموا على استتابته وانضموا الى العاذرين لَهُ وَقَالُوا لَهُ أَنْت الإِمَام وَلَك الِاجْتِهَاد وَلم يكن لنا ان نستتيبك فتب من توبتك

٢٦٤ متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٤، ٤٣٥١)، ومسلم برقم: (١٠٦٤).

٢٦٥ رواه: الإمام أحمد، والبخاري (٦٨٦٢).

٢٦٦ رواه البخاري (٦٨٦٣).

واستتب الَّذين استتابوك وَإِلَّا نابذناك فَفعل ذَلِك فافترق عَلَيْهِ أَصْحَابه وخلعه اكثرهم وَقَالُوا لَهُ اختر لنا إِمَامًا[٢٦٧]

ومن طريف جهلهم ما وقع مع شعيب- وإليه تنسب الشعيبية من الخوارج- ورجل من الْخَوَارِج اسْمه مَيْمُون-وإليه تنسب الميمونية من الخوارج- وَكَانَ السَّبَب فِي ذَلِك أنه كَانَ لميمون على شُعَيْب مَال فتقاضاه فَقَالَ لَهُ شُعَيْب أعطيكه ان شَاءَ الله فَقَالَ لَهُ مَيْمُون قد شَاءَ الله ذَلِك السَّاعَة فَقَالَ شُعَيْب لَو كَانَ قد شَاءَ ذَلِك لم استطع أَلا اعطيكه فَقَالَ مَيْمُون قد أَمرك الله بذلك وكل مَا أَمر بِهِ فقد شاءه وَمَا لم يَشَأْ لم يَأْمر بِهِ فافترقت العجاردة عِنْد ذَلِك فتبع قوم شعيبا وَتبع آخَرُونَ ميمونا وَكَتَبُوا فِي ذَلِك الى عبد الْكَرِيم بن عجرد وَهُوَ يَوْمئِذٍ فِي حبس السُّلْطَان فَكتب فِي جوابهم إِنَّمَا نقُول مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن وَلَا نلحق بِاللَّه سَوَاء فوصل الْجَواب اليهم بعد موت ابْن عجرد وَادّعى مَيْمُون أنه قَالَ بقوله لِأَنَّهُ قَالَ لَا نلحق بِاللَّه سوءا وَقَالَ شُعَيْب بل قَالَ بقولى لِأَنَّهُ قَالَ نقُول مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لم يَشَأْ لم يكن، فتولوا جميعا عبد الكريم وبرئ بعضهم من بعض"[٢٦٨].

أَن عبد الْكَرِيم بن عجرد كَانَ إِمَامًا قيل أَن خَالفه ثَعْلَبَة فِي حكم الاطفال فَلَمَّا اخْتلفَا فِي ذَلِك كفر بن عجرد وَصَارَ ثَعْلَبَة إِمَامًا وَالسَّبَب فِي اخْتِلَافهمَا أَن رجلا من العجاردة خطب الى ثَعْلَبَة بنته فَقَالَ لَهُ بَين مهرهَا فَأرْسل الْخَاطِب امْرَأَة الى ام تِلْكَ الْبِنْت يسْأَلهَا هَل بلغت الْبِنْت فَإِن كَانَت قد بلغت ووصفت الاسلام على الشَّرْط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كَانَ مهرهَا فَقَالَت امها هى مسلمة فِي الْوَلَايَة بلغت أم لم تبلغ فاخبر بذلك عبد الْكَرِيم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فَاخْتَارَ عبد الْكَرِيم الْبَرَاءَة من الاطفال قبل الْبلُوغ وَقَالَ ثَعْلَبَة نَحن على ولايتهم صغَارًا وكبارا الى أَن يبين لنا مِنْهُم إِنْكَار للحق فَلَمَّا اخْتلفَا فِي ذَلِك برىء كل وَاحِد مِنْهُمَا من صَاحبه وَصَارَ أَتبَاع كل وَاحِد مِنْهُمَا فرقا"[٢٦٩].

---

٢٦٧ مقالات الإسلاميين، ص: ١٧٤: ١٧٦، والفرق بين الفرق، ص: ٦٩.

٢٦٨ مقالات الإسلاميين، ص: ١٧٨، والفرق بين الفرق ص: ٧٤.

٢٦٩ مقالات الإسلاميين، ص:١٩٠، والفرق بين الفرق، ص: ٨٠.

لبس الحق بالباطل:

ومن صفات الخوارج قديما وحديثا، لبس الحق بالباطل، فإن جدهم وشيخهم الأول ذا الخويصرة التميمي أظهر فتنته بالمال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوته إلى العدل والتقوى!، وهذه صفة لازمة لهم جميعا، ولكل أهل البدع أنهم يلبسون الحق بالباطل، ولذلك لما خرجوا على علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قالوا: "لا حكم إلا لله" فقال علي لهم: "كلمة حق أريد بها باطل"، وهذه الصفة فيهم لها عدة صور فمن ذلك:

يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء:

كما في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: "**يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء**"، فهم في دعوتهم يوهمون الناس أنهم منه ينطلقون، وعنه يصدرون، وليسوا منه في شيء، وقد مضى كثير من ذلك.

يقولون من قول خير البرية:

ومن تمويههم ولبسهم الحق بالباطل، أنهم "**يقولون من قول خير البرية**" كما في حديث علي مرفوعا، وبهذا يوهمون الناس أنهم من أتباعه صلى الله عليه وسلم، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله :"إذ الباطل المحض لا يقبل بحال"[٢٧٠].

وقال أيضا :" وأكثر ما ينفق بين المسلمين ما فيه حق وباطل إذ الباطل المحض لا يبقى بينهم وذلك يتضمن التحالف على غير ما أمر الله به والتبديل لدين الله بما لبّس من الحق بالباطل وهذه حال اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال فإنهم عدلوا عما أمرهم الله باتباعه فلبسوه بباطل ابتدعوه بدلوا به دين الله وتحالفوا على ذلك الذى ابتدعوه"[٢٧١]

---

[٢٧٠] مجموع الفتاوى (٤/ ٥١).

[٢٧١] جامع الرسائل لابن تيمية — ت رشاد سالم (٢/ ٣١٧).

ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

كما في أثر ابن عمر: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين"[٢٧٢]، وعن ابن أبزى أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١ قال له: أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون؟ قال: بلى! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزى، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال: ردّوه عليّ. فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهبْ، ولا تضعها على غير حدِّها"[٢٧٣].

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبزى، عن علي قال: أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: "ارجع ارجع، أي قل: إنما أنزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب"[٢٧٤].

وهذا كله من تلبيسهم ولبسهم الحق بالباطل.

---

[٢٧٢] ذكره البخاري معلقا مجزوما به في باب "قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم".

[٢٧٣] رواه الطبري في جامع البيان (٢٥٣/١١) برقم: (١٣٠٤٥)، ط: شاكر.

[٢٧٤] تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٠).

يتبعون المتشابه من القرآن "يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه" :

والخوارج يتبعون المتشابه من القرآن، ولا يردونه إلى المحكم، وفي ذلك أثر أبي أمامة في تفسير قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ قال: هم الخوارج"[٢٧٥].

وعن طاووس قال: ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن، قال: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عن متشابهه، وقرأ: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ"[٢٧٦].

وقال سعيد بن جبير: "أما المتشابهات: فهن آي في القرآن يتشابهن على الناس إذا قرءوهن، من أجل ذلك يضل من ضل ممن ادعى هذه الكلمة، كل فرقة يقرءون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، ومما تتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويقرءون معها: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية"[٢٧٧]

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: تلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧،

---

[٢٧٥] أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢٥٩).

[٢٧٦] الشريعة للآجريّ (١/ ١٤٤/٤٧) والمصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٦/٣٧٩٠٢).

[٢٧٧] أخرجه الآجريّ في الشريعة (٤٤).

قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**[٢٧٨]"[٢٧٩].

وصفات الخوارج في الأحاديث كثيرة جدا ولكن هذه أظهرها وهي مما يتعلق ببحثنا أصالة والله الموفق.

٢٧٨ قال فاحذروهم ولم يقل فاحذروا بدعتهم كما يقول أهل التمييع.

٢٧٩ أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٤٢٧٣)، ومسلم في صحيحه، برقم: (٢٦٦٥).

لماذا "داعش" من الخوارج؟

لقد بينا كثيرا أثناء هذا البحث لماذا داعش من الخوارج، ولكنه متناثر في صفحات البحث، مما قد يغيب عن بعض القراء ولذلك نجمل ما فصلناه من قبل في أسباب كون داعش قرنا من قرون الخوارج في هذا العصر، فنقول:

أولا: اتفاقهم على أصل واحد وهو التكفير بالحكم، أو ما أسموه هم بالحاكمية[٢٨٠]، وسُموا قديما بالمحكمة، وهذا الأصل يجمع الخوارج في كل زمان ومكان، فإذا رأيت الرجل يكفر بهذا الذنب فاعلم أنه خارجي وإن زعم أنه لا يكفر بالذنوب، ولو قال: إن الكفر كفران أكبر وأصغر، فإن أعظم علامة وآصل أصل عند الخوارج التكفير بمسألة الحكم.

ثانيا: لا يحكمون بما أنزل الله، وهذا من عجيب حال الخوارج، فإنهم يكفّرون من لم يحكم بما أنزل الله من غير تفصيل، ثم هم أنفسهم لا يحكمون بما أنزل الله، وذاك أنهم أصلا ضلوا في فهم "ما أنزل الله" فحصروه في الحدود، وهذا غلط عظيم، والصواب أن ما أنزل الله هو كل ما جاء به رسول الله فريضة ونفلا، عبادة وعملا، عقيدة وخُلقا، وأما الخوارج فإنهم يخالفون في العقيدة والمنهاج فيحكمون فيها بغير ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراهم يقرون التعددية الحزبية وما يسمى بالجماعات الإسلامية وغير ذلك من مخالفاتهم في المعتقد والمنهاج، وقد مر منه الكثير!.

ثالثا: خروجهم من المشرق!!، وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر أولا أن الخوارج الأُول الذين خرجوا على الصحابة يخرجون من المشرق، وقد كان ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، وأخبر صلى الله عليه وسلم عن الفتن عموما عبر الزمان تأتي من المشرق عموما ومن العراق خصوصا؛ كما جاء عن يسير بن عمرو، قال: دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[٢٨٠] قال جامع المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١/ ٤٧٠) : "وسمعته يقول: كلمة الحاكمية بدعة أصلها من المستشرقين تلقفها منهم بعض الناس".

"**يذكر قوما يخرجون من هاهنا** -وأشار بيده نحو العراق- **يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**" قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه"[٢٨١].وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**"[٢٨٢].

فخرج تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة وكان مخرجهم واحد وهو المشرق اتفاقا مع مكان خروج أسلافهم[٢٨٣]، ولا عجب فقد أخبر عن ذلك صلى الله عليه وسلم.

رابعا: الانعزال عن المجتمعات المسلمة بعد تكفيرها، كذا فعل الخوارج قديما، فقد كفروا الصحابة ثم انعزلوا إلى حروراء، وكذلك فعل تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة، فقد كفروا المسلمين واعتبروا أن جميع الديار ديار كفر إلا من ديارهم!! ثم انعزلوا عنها وعن أهلها!في الجبال والصحاري!.

خامسا: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وذلك أنهم يكفرون من لم يكفره الله ورسوله من المسلمين، ويحكمون عليهم بأنهم مرتدون، ثم يقولون: قتال المرتد أوجب من قتال اليهود والنصارى، فيقتلون المسلم ويدعون الكافر!، وهذا ما فعلته الخوارج قديما، وهو ما تفعله داعش وأتباعه حديثا.

سادسا: اتباع المتشابه من القرآن، فكما استدلت الخوارج الأول بآيات من القرآن هن من المتشابهات كآيات الحكم، واتبعوا ذلك؛ فعلت خوارج العصر من داعش وغيرها، وهذه صفة عامة لكل من خالف منهاج النبوة ولذلك قال فيهم رب العالمين: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**

[٢٨١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٩٧٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

[٢٨٢] أخرجه الترمذي في سننه (٢١٨٨)، وغيره، وصححه الألباني.

[٢٨٣] واعلم أن بعض الفتن قد لا تخرج من المشرق ولكن هذا من باب العارض النادر الذي لا يندرج تحت العموم.

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧، و قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**".

سابعا: كثرة الاختلافات والانشقاقات، فقد رأيت كيف اختلفت الخوارج قديما إلى قعدة، وأزارقة، وعجاردة...إلخ، فقد انقسم وارثو ضلالهم حديثا إلى إخوان ثم إلى جهاديين –بزعمهم– ثم تنظيم القاعدة ثم ثم تنظيم الدولة داعش ولازالت الانشقاقات والاختلافات بينهم ﴿ **فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ** ﴾ المؤمنون: ٥٣ – ٥٤.

ثامنا: اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس، يقولون الحق يريدون به أبطل الباطل كما قالت الخوارج قديما: "لا حكم إلا لله"، كذلك قالت داعش: نريد أن نطبق حكم الله، نريد أن نقيم خلافة رسول الله، ولكنهم كما قال صلى الله عليه وسلم: "**يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم،** –وأشار إلى حلقه– **من أبغض خلق الله إليه**".

تاسعا: حداثة سنهم وقلة علمهم وانتشار الجهل بينهم وعدم وجود علماء فيهم، وكل ذلك وجد في الخوارج قديما كما مر، وهو آكد في الخوارج حديثا، فإنهم هم السفهاء أحلاما، الحدثاء أسنانا، ووجود العلماء فيهم كولوج الجمل من سم الخياط، وإلا لتركهم، وتبرأ من شناعاتهم؛ وقد سبق النقل عنهم بأقلامهم واعترافاتهم بعدم وجود علماء فيهم!

عاشرا: يسفكون الدم الحرام، وذلك لجهلهم وقبح منهجهم وسوء معتقدهم، فيكفرون المسلم ثم يستحلون منه ما يستحلون من الكافر، ويزعمون أنهم مجاهدون وشرط الجهاد العلم، وهذا دأب الخوارج من قديم ولذلك قال فيهم علي رضي الله عنهم: " فإنهم

قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس" أي: لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى !!،ولا حربيّ ولا غيره وهذا ما يفتون به الآن ويقررونه بين جنودهم ويفعلونه بتفجيراتهم.

وبهذا تعلم أن داعش هم قرن الخوارج في هذا العصر، نسأل الله أن نكون ممن يُقطع على أيديهم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وكتبَ

أبو سفيان عمرو سادات الكرداسي

٠٠٢٠١١٤٠٧٠١٣٦٨

أبو زياد محمد آل يعقوب النوبي

٠٠٢٠١١٥٨٥٠٨٤٢٨

Abozyad2210@gmail.com